## الفصل الخامس

# مـــوازنـــــــات

وكـدنا فى هذا الفصل أن نوازن بـين بعض القصـائد لثـلاثة الشعـراء العقـاد وشكرى والمازنى ، وقـد قصـرنا الموازنة على القـصـائد التى اتفق فـيهـا الشكل والموضوع ، مرتئين أن هذا الاتفاق مما يرشح لهـذه الموازنة ويزكيها، وسنحاول - بشكل عام - أن نبـين معدن الشـاعرية لكل منهم من خلال تحليلنا لهـذه النماذج المختارة ، وليس حـكمنا فى هذه القضية بالحكم القـاطع ، وإنما هو حكم تقريبى من قبيل اقتباس الكل على البـعض ؛ وبخاصة إذا عرفنا أن الاشتراك فى الموضوع والشكل فى هذه القـصائد ، وأن تداولهـا بين الأصدقـاء مما تأرن إليه القـرائح ، ويتوخى فيه الإجادة ما أمكن ، ولسنا مغفلين على كل حال قراءتنا لأشعار الثلاثة كلها ، ومن هنا سـيكون حكمنا التقريبى حكمًـا له ما يرفده من استـمداد شامل لكل أشعارهم .

وقد قصرنا هذه الموازنات على بعض القصائد ، وليس كلها ؛ لأن إرادة الكل تخرج بنا عن نطاق هذه الدراسة ، وتحتاج وحدها لـرسالة مستقلة ينهض بها من يتوخاها ، فضـلاً عن أنها غير موضوعـية ؛ لأن أحدهم - هو المازنى- كف عن الشعر قبل زميليه بوقت طويل ، على حين ظل صديقاه يكتبان إلى آخر لحظة فى حيـاتهما - وبخـاصة العقاد - فـماذا نأخذ ومـاذا نطرح . وإذا كان لابد من أن أخذ، فمن الإنصاف أن نقصر هذه الموازنات على ماكـان فيه اشتراك بينهم كالحالة التى معنا .

وبطبيعة الحال - والدراسة عن المازنى - سنختار القصائد التى كان المازنى طرفًا فيها ، وسوف نضرب صفحًا عما جاء فى كتاب «رسائل النقد» لرمزى مفتاح من اتهامات للعقاد والمازنى بشأن سرقتهما من شكرى ، فإن الكتاب كله تحت مستوى المناقشة ، لما فيه من أكـاذيب لاتخفى ومن تدل لايحتاج إلى إبانة، وقد قلنا هذه

الملاحظة فى فصل سالف ، وقد أيد هذه الملاحظة رجل شديد النعى على العقاد والمازنى ، وبين أكاذيب رمزى مفتاح وفندها ، ومن هنا تجىء قيمة هذه الملاحظة وقدرها [1] ، وإن كان هذا الدارس لم يخل من تجن وبخاصة على العقاد .

أولى القصائد التى نقف أمامها هى قصيدة «أحلام الموتى» وقد بدأ بنظمها العقاد وأرسلها لكل من المازنى وشكرى ، فعارضها كل منهما بالوزن والروى ، وهناك شاعر آخر هو على شوقى ، نظم قصيدة فى وزنها ورويها وموضوعها ، ولكنها ليست بسبيلنا [2] .

والقصيدة تمثل حالة نفسية قلقة كانت تعترى هؤلاء الشبان فى مطالع حياتهم؛ لأنهم يلوذون بعالم الأجداث فرارًا من الحياة الخانقة ، التى تشل حركتهم وطموحهم «فإحساسهم المفرط بما يكتنف الحياة من مظالم وشرور وآثام ومعاناتهم الواعية للمتاعب والعقبات التى سدت الطرق إلى ماكانوا يرون أنفسهم جديرين به من مجد ، ومقاساتهم الشديدة لألوان من الاضطهاد التى وصلت أحيانًا إلى درجة المحاربة فى الرزق . . كل ذلك كان المصدر الأول لهذه العواطف المفعمة بالأسى ، المليئة بالمرارة ، الجياشة بالحزن والضيق الذى يبلغ أحيانًا حد اليأس [3] .

وليست هذه القصيدة بدعًا بين قصائد هؤلاء الشعراء ، فإن لهم قصائد أخرى كثيرة ظهارتها هذا الإحساس المتوفز بالألم المليء بالمرارة والقنوط ، فما يقال هنا عن هذه القصيدة يقال عن أخوات لها .

بدأ العقاد قصيدته بأن شمس هذا العمر ستغرب يومًا ما ، ويغمض ناظره ليل الحمام ، وتساءل هل يسرى إلى قبره خيال من الدنيا يحمل إليه أنباء الأنام ، واستطرد مع تخيله هذا متسائلاً :هل يسامره طيف من يهوى ويؤنس وحشته ترجيع هام ، ويحلم بالزواهروالزهر المنور والغمام ، وهى أشياء حرم منها فوق الثرى ، ثم أحس أنه أسرف فى الأمانى وأبعد فى الأحلام فتمنى أن يورق الورد

---

(١) راجع ماكتبه مصطفى عبداللطيف السحرتى فى كتابه «الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث» ، ص١٧٢ ، ومابعدها .

(٢) لأننا نوازن بين ثلاثة الشعراء العقاد والمازنى وشكرى فقط ، باعتبارهم رواد اتجاه واحد .

(٣) تطور الأدب الحديث د. هيكل ، ص١٦٢ .

فوق جدثه فتعبق عظامه من نوافحه ، ويبسم فى أزاهره للدنيا التى لها عبس فوق الرغام .

حالة من اليأس القاتل التى تعترى الشبان وطموحهم ، فيكثر من بين صفوفهم من يتشاءمون ، لأنهم يرون أن الحياة لاتواتى وإمكاناتهم المسرفة فى الطموح ، المغرقة فى الأحلام ، ولعلهم يصيحون بقول شيخ المعرة :

**إذا الفتى ذم عيشًا فى شبيبته  فما يقول إذا عصر الشباب مضى**

ثم تنهنه الأيام من طماحهم ، وتكفكف من غلوائهم فيركنون إلى شىء من المصالحة للحياة ، ومن هنا يتقبلونها ببسمة ساخرة مستخفة لمن تتهيأ لمزاجه السخرية والاستخفاف كالمازنى ، أو بالجد الصارم والرضى العقلى لرجل كالعقاد، أو بالاستسلام والقنوط لرجل يرشح مزاجه لهذا كعبد الرحمن شكرى ، فكل واحد منهم راض الأزمة كما راضته ، ونفضها عن نفسه بالطريقة التى تنهض بها نفسه ومداركه .

وقد جاءت أبيات العقاد يضح منها مايزيغه من الحياة ، وهو محلأ عن مواردها، يريد فلا يجد ، ولايصادف عزاء غير الفىء إلى وادى الأحلام الذى اتخذ مسرحه القبر ، واستهل القصيدة بجملة تحمل ماتحمل من أسى شديد :

**ستغرب شمس هذا العمر يومًا  ويغمض ناظرى ليل الحمام**

واختتمها أيضًا بمفتاح الحالة كلها حيث يقول :

**وأبسم فى أزاهره لدنيا  عبست لوجهها فوق الرغام**

فالبسمة المقهورة هى سر هذه القصيدة [1] ، وقد جاءت القصيدة تحمل فكرة واحدة ينتظمها خيط شعورى واحد لاتحس فيه نتوءًا ، وساوق الفكرة تعبير بسيط سهل لاشىء فيه من غرابة إلا كلمة «الهام - الرغام» ولابد من فهمها لأن قارىء الشعر- عندنا - يحتاج إلى أن يبذل جهدًا يوازى جهد الشاعر أو يقاربه والصعوبة

(١) القصيدة بديوانه ، ص١٠١ .

اللغوية لاتمثل شيئًا ، ودعك مما يتباكى عليه العوام وأشباه العوام .

ورد المازنى على قصيدة العقاد بقصيدة تحمل العنوان نفسه ، وتضم فكرتين رئيسيتين متآزرتين : الفكرة الأولى هى فكرته عن القبر والموت ، وكيف أنهما مجيراه من وحشة العيش الجهام ، والفكرة الثانية أمنيته الخاصة بالعيش فى القبر - إن صح التعبير - وفساد هذه الأمنية لأنه :

**إذا ما الموت رنق فى جفونى ... وبات بكفه يومًا زمامى**

**فما يغنى خيال من حبيب ... يزوك بالتحية والسلام**

**وكيف يصد عنك وأنت حى ... ويمسى واصلاً لك فى الرجام**

والفكرة الأولى بها من وثبات الفكر والتعبير شىء جيد ، قوله مثلاً :

**وماطاف الكرى بالعين إلا ... ليفتحها على الكرب العظام**

والثانية أمنيته الخاصة - كما قلنا - لايشاركه فيها سواه لأنه كما قال العقاد «لو كان خلق الدنيا لما خلقها إلا جبالاً عظيمة وكهوفًا جوفاء ورياحًا مدوية ، وغمامًا مرزمًا رجاسًا وبحرًا مصطخبًا عجاجًا [1] ، ولايخدعنك ماتراه من سقيا السحاب لدى شعراء العرب لقبور موتاهم - والماء يحمل لهم شيئًا كثيرًا - فتقول إن المازنى متأثر أو مقلد لهؤلاء الشعراء ، لأنها لدى المازنى طريقة خاصة مطردة فى شعره الكثير ، وكأنه يهتبل هذه النهزة كيلا تفوته . . فيصف هذه الأشياء التى ذكرها العقاد ، يتحدث عن أمنيته الغريبة فيقول :

**أجنونى إذا مامت رمسًا ... ينادمنى به خضل الغمام**

**ترقرق عنده غدران ماء ... على ضفاتها أثر الهوامى**

**تغنينى الحمائم فى ذراها ... وقد هب النسيم مع الظلام**

**تذكرنا لياليا ، وكانت ... مسلسلة البشاشة فى نظام**

(١) مقدمة ديوان المازنى ، ص٢٢ .

وليس بعجيب أن يصف المازنى قبره وأن يتحدث عن الموت ، فإن هذه الأشياء مما تطبيه ، وتأخذ بعقله ، وتستولى عليه لايستطيع التفلت منها والقصيدة فى لوحتين متآزرتين ، حملتا الشاعر على الاقتناع بما جاء فيهما من أفكار لأن وراءه صدقًا شاع فى كلماته ، وجاء التعبير فى عمق وبساطة ، وجزالة سهلة إذا ألم القارىء ببعض الكلمات ، التى يظن أن بها غموضًا مثل «كلوء - الجهام - خصل - الهوامى - الرجام» ، وهى كلمات تفضى بمعناها فى السياق قبل استشارة المعاجم ، ومثل هذه الكلمات لايقال إنها صعبة عن متناول القراء العاديين إذا أراغوا الفهم ؛ فالسياق الذى أوردها فيه المازنى يكاد يشف عن معناها بل يحدده ، ومراجعة الكلمات فى أبياتها دليل على مانؤم . ولاتثريب على صاحبنا إذا اشتكى خفاف القراء صعوبة من مثل هذه الكلمات .

وقد اشتملت القصيدة على تعبيرات بالصورة الذكية الموحية ، التى تستقصى أطراف المعنى فى نسق كامل ، ويكفى أن نقرأ صورة قبره ، التى رسمها فى أربعة الأبيات المتقدمة (١) .

أما قصيدة شكرى فتبدأ بالرد على العقاد وتساؤلاته ، وتشم منها ريح القنوط التى تهوى بشكرى هويًا ، يقول :

**تسائلونى عن الموتى وإنى ... ربيب الموت فى هذا الأنام**

ويتفرع عن هذا افترضات ذهنية يغلفها الغموض ، ولانكاد نحس وراءها شيئًا من وهج عاطفة ؛ لأنها احتجاجات منطقية صرفة لاعمل فيها إلا للذهن :

**ولو بطل التساؤل مارضينا ... بعيش مثل أحلام الأنام**

**وأحوال كآراء السكارى ... إذا دبت بهم خدع المدام**

**ولو بطل التساؤل مارضينا ... بما يلقى المغيب فى الرجام**

وبعد هذه الاستدلالات العقلية التى لاتقدم نموًا للعمل الفنى ، يتحدث الشاعر عن تأثير الشعر فى احتمال الحياة والموت ؛ بسبب مافيه من خيالات وأحلام :

---

(١) القصيدة كلها فى ديوانه ، ص٣٩ .

وكم فى الشعر من حلم لذيذ يعين على حياة أو حمام
فزهر الروض أو زهر النجوم ووجه البدر فى سجف الظلام
نزين به الممات وقد خلونا به فى العيش أيام الغرام

والشاعر صادق فى رأيه فى الشعر ونظرته إليه ، لولا أن فى التعبير ضعفًا وتهافتًا يحسه من يدرك التعابير الجيدة ويقف على أسرارها ؛ فالبيت الثانى فى ثلاثة الأبيات هذه لاشىء فيه غير السرد الضعيف ، والتركيب الركيك ، وقد وقع الشاعر فى خطأ عروضى فى كلمة «زهر النجوم» ؛ لأنه لايوقف بالحركة على الحرف الأخير فى عروض البيت ، وكان من الممكن أن يسمح بهذا لو كان قبل الميم ألف مد ، فيعد من التصريع فى تلك الحالة وهو مما يزيد الكلام بها ، حين يتكرر فى ثنايا القصيدة بشرط ألايكثر .

والجزء الأخير من القصيدة هو الذى نستطيع عده شعرًا جيدًا ، رغم المنطق الذى يوشحه لأنه المنطق الشعورى ، ولأنك تحس فيه بروح شكرى ونفسيته القلقة التى يساورها حزن دفين وألم ممض :

وكان العدل أن نرضى بموت فلا طيف يساعد باللمام
أليس الكون أكبر منك شأنا وأولى بالمقادر والنظام
خذ الموت المحلى بالأمانى وبالأحلام تطرق فى الظلام
ودع لى ميتة لاحلم فيها فما أخشى وقد هدأت عظامى
ولكن التخيل ماء رى حلال أن أبل به أوامى

ويبدو أن شكرى حين أرسل قصيدته للعقاد كان فيها «وكان النصف» بدل «وكان العدل» ، ونحن نميل إلى كلمة «النصف» بدل «العدل» ؛ لأن الأولى غير مطروقة ؛ مما يجعل لها بعدًا يوشح الأذهان على حين أن الثانية ابتذلها كثرة الطراق ، ونجد أن نفس شكرى التى أمضها الألم والقنوط ، وصوحت أمانيها تنضح فى البيت الذى قبل الأخير نضحًا ، وقد تكرر هذا المعنى لدى شكرى

كثيراً؛ وبخاصة فى قصيدته «حلم البعث [1]» .

فنحن أمام ثلاث ذوات فى هذه القصائد الثلاث ، لايغيب منها وجه فى طوايا الآخر «لأنه يمتاح من ذاته هو رغم وحدة الموضوع ووحدة الشكل» ولكن الثلاث القصائد نبعت من بئر حزينة ، احتجنت موارد الحياة أمام أصحابها واضطربت أرشيتهم ؛ فآووا إلى أحلام الموتى عليهم يجدون فيها تأساء ، مما يأخذ بأكظامهم فى صحراء الحياة ، ونجد أن كل واحد منهم عبر بطريقته وصدق مع نفسه ، وإن كنا نميل إلى ترجيح قصيدتى العقاد والمازنى لما فيهما من إجادات فى الفكر والتعبير مع الوضوح والبساطة .

والقصيدة الثانية تنهج نهج القصيدة السابقة ، وتنزع منزعها ، وموضوعها النفس الشاعرة التى تحلق بأصحابها حين تصفدهم أغلال الجسد ، وكيف أن هذه النفس تضرب حول أصحابها سجنًا من الغربة التى لاتطاق .

أرسل شكرى لكل من صاحبيه قصيدة بعنوان «ثورة النفس» من القافية المزدوجة، ورد عليه كل منهما بقصيدة من قريها تحمل العنوان [2] نفسه .

بدأ شكرى قصيدته ببيت استعمل فى أول تفعيلة منه زحافًا يسمى : «الخرم» ، وهو حذف أول الوتد المجموع «فعولن» تصير «عولن» ، وقد سوغه العروضيون ، واستشهدوا له بأبيات كثيرة ، وفى رأينا أنه غير مستساغ ؛ وبخاصة حين يسبب خلطًا بين الطويل والكامل ، وقد نجا شكرى من هذا الشرك ، وإن كان قد وقع فى شرك آخر هو النثرية المعيبة ، يقول :

**(و) للنفس فى بعض الأحايين ثورة  يكاد لها جسم الفتى يتمزق**

فكلمة «فى بعض الأحايين» ليس فيها من الشاعرية شىء ، ومسألة النثرية ليست معيبة فى كل حال . . فإن الشاعر أحيانًا ينتشل بمقدرته بعض التعابير النثرية من وهدتها فتحس إزاءها أنها خلقت خلقًا جديدًا ، وليس من هذا الطراز عبارة

(١) راجعها فى ديوانه ص٢٤١ ، والقصيدة التى معنا فى ص ص١٥٣ ، ١٥٤ .
(٢) قصيدة شكرى بديوانه ص ص١٦٩ ، ١٧٠، وقصيدة المازنى بديوانه ص٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، «وقصيدة العقاد بديوانه ص ص٣٤٤ ، ٣٤٥ .

شكرى هنا ، ومن العبارات النثرية المعيبة عنده أيضًا قوله :

**سأبذل جهدى فى تعلم رقصة  لأرقصها إن الحوادث تطرب**

ففى البيت نثرية وركاكة تضح فى «سأبذل جهدى» ، والمشكلة عند شكرى - فيما نرى - أنه يرمى شعره حلق الزمان ، ولايبيت منه على وهم وبلبال ، فيستسلم لأول بادرة من بوادر النظم ، ولايعاوده ويراجعه ، وإنما يهضب بالشعر ولعله فى ذلك معذور ؛ لأنه جاء فى وقت كانت الإجادة فيه متعلقة بحسن الرصف والحوك ، ولكنه مشى فى الشوط إلى غايته فأهمل الصياغة إلى حد ما ، ونسى أن الشاعر أدواته الألفاظ ، ولابد من جودة العبارة كى تنهض بالمعنى الذى يؤمه ، ولكن لشكرى إجادات تسلكه فى عداد الكبار ، وهذه الهنات ليست مما ينقص من سموق فنه وعظمته .

موضوع قصيدة شكرى - كما أشرنا - هو عذاب النفس الشاعرة ومحاورة مع هذه النفس ، وكيف أن اليأس يعصف بها ؛ لأن الجسم ليس فى ذرعه أن يحلق معها ، ويشتعل مثلها يقول :

**تريدين أن الجسم يغدو كأنما  يضيء به منك الضياء المحجب**

**إذًا لأراقت كل نفس ضياءها  على ظلمة للعيش ، والعيش غيهب**

وبلغ مبلغًا عظيمًا فى جودة التعبير ، فيقول مثلاً :

**رضعنا من اليأس الصريح لبانه  وكان وكنا فى بطون الحوامل**

**فما آمل فينا سوى صنو يائس  وما يائس منا سوى صنو آمل**

ويضع يده على كمين الداء ، ومبتعث هذه الثورة ، فيقول :

**فلاتعذلونا ، دهركم غير دهرنا  فإنا علقنا بالبعيد من المجد**

وهذه هى الشكوى الخالدة ، ونحسب أن هذه النفوس لاتطيب لها الحياة مطلقًا لأنها من معدن غير معدن الأوساط والدهماء ، الذين يرضيهم المأرب الرخيص . ولاينظرون إلى أبعد من أنوفهم ، أما أولئك فمهما نالوا مآربهم فسوف تبقى كما هى لأنها متعلقة بالمجهول البعيد منوطة به . وقد أجاد شكرى التعبير عن هذه

الشكوى الخالدة ، وجاء تعبيره مقنعًا متعدد النغمات مابين حقيقة وتصوير ، واستغل الحوار مع نفسه بذكاء ليقدم نموًا واطرادًا فى القصيدة ، يقول مثلاً :

**هياج كما هاجت قطاة تعلقت بأحبولة الصياد إذ ليس مهرب**

**أما فى سكون الليل يانفس واعظ أما فى هدوء الليل ملهى ومطرب**

**فهل تحسبين نائمًا كل ساكن وهل تحسبين ميتا كل هاجع**

**نعم إن للشلال روعًا وهيبة ورب جلال للعواصف رائع**

وهكذا تسير القصيدة فى مستوى جيد من روعة الفكر والتعبير والتصوير ، وإن كان البيت الذى أوله «هياج» يذكرنا التشبيه فيه بتشبيه قديم :

**كأن القلب ليلة قبل يغدى بليل العامرية أو يراح**

**قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه ، وقد علق الجناح (١)**

وإن كنا نرى - إنصافًا للحقيقة ولشكرى - أن مثل هذا التشبيه من التشبيهات الخالدة التى يستوى لديها المتقدم والمتأخر ، وهم كل واحد أن يسبغ عليه ثوبًا خاصًا به .

قصيدة العقاد تأخذ طريق شكرى ، ويقول لشكرى فى أولها :

**شكوت الذى أشكوه فاعلم بأننى وجدت من الأيام ما أنت واجد**

وموضوعها موضوع قصيدة شكرى عذابات النفس - كما قلنا - وغربتها بين خلق يخطىء المرء فى الاستفهام عنها بمن ، وقد تعددت النغمات عند العقاد ما بين تصوير مشع موح ، وحقيقة ترفدها نظرة فاحصة للكون والحياة ، وقد التقى مع شكرى فى بعض المعانى ، ولكن كل واحد عبر عنها بطريقته الخاصة المتميزة ، مثل قول العقاد ، وقد وقع على معنى شكرى «قطاة» :

**أهابت بنفسى وثبة بعد وثبة كما نهض الرئبال لم يرأم الأسرا**

**وقد روضتها الحادثات فأخلدت إلى القيد ، حتى ماتهم به كسرا**

---

(١) ديوان الحماسة ١٠٩/٢ .

ونحن نرى أن تشبيه النفس المقيدة بالأسد المأسور أدعى إلى احتضار القوة المقهورة والعظمة المغلوبة منه بتشبيهها بالقطاة الواهنة ، ونفس العظيم من الأولى أن تشبه بما قال العقاد ، ويبدو لنا أن كلاً منهما صادق مع تصوير نفسه؛ فانطوائية شكرى وحزنه الواصب مما يرشح لهذه الصورة التى أتى بها وتمرد العقاد وجبروته مما يناسب الرئبال المأسور . وقد زاد العقاد فى البيت الثانى حتى ارتأى أن الحوادث روضت نفسه إلى الإخلاد للقيد ، حتى ماتهم به كسرًا . وهذا من قبيل رصد الواقع الشعورى والواقع الحسى للنفس الإنسانية ، وهذا هو ماقصدناه من قولنا «حقيقة ترفدها نظرة فاحصة للكون والحياة» ومن هذا النسق قوله :

**عجيب من الدنيا توالى صروفها وأعجب منه حبنا لدوامها**

**هو العيش داء والنفوس مريضة ولكنها تأبى شفاء سقامها**

وتلتقى به مصورًا بارعًا يكمل جوانب الصورة ، ويروعنا منه وقوعه المباشر على كبد الحقيقة ، يقول - دون ترتيب - :

**وكان خيالى فى السماء محلقًا فهاض جناحيه الزمان المغرر**

**إذا استل منه ريشة بعد ريشة جرى دمه فى إثرها يتحدر**

**يلذ لنا مطل الرجاء كأنه حبيب يروق المطل منه ويعجب**

**ونعرض عن صدق القنوط لأنه عبوس المحيا شاحب الوجه أشيب**

**فياويح للنفس التى يكبرونها وأكبر منها فى البقاء الجوامد**

**أيشعلها قوت ويطفىء نارها نسيم سرى من عالم الموت بارد**

إلى أن يأتى إلى سبب الأزمة كلها ، وهى أن النفس من معدن غير معدن الجسم ، وهيهات أن يصبحا متماثلين ؛ لأنه ليس من طبائع الأشياء أن يتماثل اثنان ليس بينهما تماثل ، يقول :

**ولو أن بالإنسان جسمًا كروحه وكان سواء بطشه ومواهبه**

**لنادى الضحى قف يانهار فلم يسر ونادى الدجى هيا فسالت غياهبه**

وإن كنا لانوافق الشاعر على «وكان سواء بطشه ومواهبه» ؛ لأن البطش والمواهب لايحددان المراد هنا ، والمقصود أن يقول إنه يتمنى أن تستوى الإمكانات والطموح أو الواقع مع المثل ، وهاتان الكلمتان لاتحددان ذلك ، فضلاً عن أن الشطر الأول أفضى بالمراد دون تطويل وحشو .

أما قصيدة المازنى فهى تنحو هذا المنحى ، بدأها بخطاب شكرى :

**أخا ثقتي كم ثارت النفس ثورة  تكلفنى ما لا أطيق من المض**

**وهل أنا إلا رب صدر إذا غلا  شعرت بمثل السهم من شدة النبض**

ولايعترض على المازنى بأنه أخذ التشبيه من القدماء «بمثل السهم» ، فمثل هذه الأشياء مجرد رموز ؛ لأننا مازلنا حتى الآن نشبه بالسيف وهو ليس من الآلات الحربية الحديثة ، ولكن بعض الكلمات أفلتت من إسار الزمن لتكون مع حياة الإنسان فى أى زمان ، وبعد هذين البيتين بيتان آخران ، سبق الحديث عنهما فى فصل «أصالة المازنى» .

ونحن لانجارى المازنى فى بيتيه اللذين يقول فيهما :

**أدور بعين حير العيش لحظها  وأرجعها محمرة كالشقائق**

**كأن فؤادى بين سجو وترحة  أديم تفريه أكف الخوالق**

فاحمرار العين المحيرة اللحظ من الأسى والحزن لايناسبه التشبيه بالشقائق التى تثير البهجة فى أغلب أحوالها ؛ فالجو النفسى مختلف ، فضلاً عن أن مجرد رصد الحمرة فى كل منها ليس بشىء مادام لايرفده مدد شعورى ، واتجاه المازنى وصاحبيه يرفض مثل هذه التشبيهات ، التى لاتتعدى الشكل الخارجى ، ولو كان حافظ صاحب هذا التعبير لهاجمه المازنى وعابه عليه . والبيت الثانى معيب أيضًا لما فيه من نظرة إلى القدماء «أديم تفريه أكف الخوالق» وكلمتا «سجو وترحة» غير محددتين فى مرادهما تمامًا فى هذا السياق ، ولكن القصيدة بها بعض الصور التى تشى بجدتها ودقتها ، وهى لاتخرج إلا من عالم المازنى . . . يصف قلبه فى صورة لاتملك أن تغير كلمة إلا غيرت المراد ، يقول :

أبيت كـأن القلب كهف مـهدم　　برأس منيف فـيـه للريح ملعب
أو انى فى بحر الحـوادث صخرة　　تناطحـهـا الأمـواج وهى تقلب

ويقول فى صورة محبوكة جيدة ، وقد تكرر نظيرها فى قصيدته «أحلام الموتى» يقول هنا :

إذا اغتـمضت عيناى فـالقلب ساهر　　يظل طويل الليل يرعى ويرصد
ومـا إن تنام العين لكن إخـالهـا　　تديـر بقلبـى نظرة حين أرقـــد

ويقع على مكمن الأسى ، وكيف أنه للأحزان ضربة لازب ، فيقول :

سأقضى حياتى ثائر النفس هائجًا　　ومن أين لى عن ذاك معدى ومذهب
على قدر إحساس الرجال شقاؤهم　　وللسـعد جـو بالبـلادة مشـرب

ويرد على صاحبيه ، وبخاصة شكرى الذى يرى عظة للنفس فى سكون الليل، فيشتق من ذلك معنى دقيقًا ؛ فيقول :

خليلى مـهلاً بـارك الله فيكمـا　　فما فى سكون الليل مسلاة واجد
إذا ثار مابين الحـجابين والحـشا　　فكل سكون يسـتـثير رواقـدى
وإن سكنت نفسى فـليس بضائرى　　رياح تجر الذيل حـولى وتعصف
فليس يضير الحوت فى البحر أنه　　يهـيج ، وأن الموج يطغـى ويعنف

والقصـائد الثلاث من طبقـة عالية فى الفـكر والتعبـير تمتعت كل واحـدة منها برصيد نفيس من الصدق الشعورى ، الذى رفد التعبير بحرارة صادقة أيضًا ، وتجد على كل قـصيـدة ملامح كل شـخصـية ، تـكاد تفلت من أسر الحـروف لتعـانق القارىء .

وفى رأينا أن مثل هذه القصـائد أدل على روح العصر والحياة التى كـان يحياها أولئك الشعـراء ، وهى تسهم لامشـاحة فى طلب التغـيير إلى الأفضل أكـثر من القصائد ، التى تحمل عناوين اجتماعية أو سياسية ، وكل ماهو من قبيلها ، وليت

يدرك هذه المزية والقيمة من يتباكون على الاجتماعيات والوطنيات ، وماهى - لو دروا - لو لم يسر بها روح الصدق وإلا عملة زائفة . . يروج لها مدلسة القول ومدلسة النقد .

القصيدة الثالثة موضوعها الغزل ، وقد اتحدت فى الوزن والروى ؛ مما يشعر أن ثمة اتفاقًا بين الثلاثة على تخير هذا النمط ، ولعلهم قد أعجبوا بقصيدة الشريف، التى يقول فى مطلعها :

من معيد لى أيامى يجزع السمرات[1]

وهذا من قبيل الاحتمال فقط لأنه ليس لدينا دليل قاطع على تلك الإراغة ، ولأن الاتفاق فى الوزن والروى لايكفى سببًا للمعارضة - وإلا حسبنا جزءًا ضخمًا من الشعر العربى من قبيل المعارضات ، وهى ربما تكون غير مقصودة بل إن هذا مايحدث بالفعل ، وقد وقفنا عند احتمال المعارضة لأن هناك إعجابًا من الثلاثة بشعر الشريف الرضى ؛ وبخاصة من المازنى .

قصيدة شكرى بعنوان «ياوضىء البسمات» وقصيدة العقاد بعنوان «كأس على ذكرى» وقصيدة المازنى بعنوان : «كل يوم لى شكاة» [2] وقد ادعى رمزى مفتاح أن قصيدة العقاد آنفة الذكر مسلوبة من قصيدة شكرى فى وزنها ونظامها ومعناها وأن قصيدة شكرى كتبت قبل قصيدة العقاد بأزمان طويلة ، وجذب عليها الدهر ذيل النسيان فمسخها العقاد وادعاها لنفسه[3] ، ولكن مصطفى السحرتى فند هذا الزعم تاريخيًا لأن قصيدة العقاد فى الجزء الثانى من ديوانه الصادر عام ١٩١٧ ، بينما توجد قصيدة شكرى فى ديوانه السابع الصادر عام ١٩١٨ ، ورغم هذا يعود السحرتى ليشكك فى هذه الحقيقة التاريخية مرتئيًا أن شكرى ربما طوى القصيدة ولم ينشرها فى إبان نظمها ، ويوغل الدارس فيرى أن قصيدة العقاد تنجلى فيها المحاكاة فى البنية والمعنى ، ويذهب أبعد من ذلك فيرى أن الفكرة التى دارت

---

(١) ديوانه ١٥ /٢١٧

(٢) القصائد الثلاث موجودة بالدواوين ص:٥١٥ ، ١٤٩ ، ١٢٩ .

(٣) راجع رسائل النقد لرمزى مفتاح ، ص١٠ ، والشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتى، ص ١٧٣ .

حولها بعض معانى القصيدتين من وحى شكسبير فى روايته تاجر البندقية ؛ حيث تقول شخصية فى الرواية «أحبك ياباسانيو راضيًا وغاضبًا» وربما كان شكرى أو العقاد استولدها وتوسع فيها فالفكرة مسبوقة ، أما الصياغة وتماثل القصيدتين فى البحر والقافية ، فهذا مايدعو إلى التأمل والعجب[1] .

والحقيقة أن الدارس كان منصفًا فى بعض رده على رمزى مفتاح ، إلا أن كلامه لابد أن يؤخذ بحذر شديد نظرًا للظروف والملابسات التى كانت قائمة ، فالسحرتى - وهو نموذج لطائفة معينة - يناصر شكرى لاحبًا فى الحقيقة وإنما بغضًا لصاحبيه، وحسبك أنه لم يطق إنصاف العقاد حتى نكص ليسلبه ما أعطاه، وهنا تردى فى كلام ساذج ، فشكرى والعقاد يقولان للمحبوب إننا نهواك فى صدك ووصلك كما يقول شكسبير تمامًا ، آفة النظر والتطبيق وراء هذا الكلام الفج ، فمثل هذه العبارة متداولة حتى فى الأغانى العامية !!

قصيدة شكرى تمتاح من معين الحرمان - إذا صح أن للحرمان معينًا - وتبدأ بأمنية بعيدة ؛ إذ يقول :

**ياوضيء البسمات وحيي الوجنات**

**ليت لى منك ائتلافا كائتلاف الوجنات**

ولكنا نحس أن القصيدة بعامة - وإن كان موضوعها الغزل - ليست تخاطب شخصًا معينًا ، ولكنها تخاطب مخلوق الخيال ، تشعر فيها بلذعة الحرمان ، ومرارة الفقد ، وقد خلت من الحرارة اللافحة التى يلهبها شخص حقيقى يصد ويصل ، ويسخط ويرضى ، وليس معنى هذا أن الشاعر غير صادق فى لهفته ، فإنه صادق فى إحساسه بالحرمان وصادق فى التعبير عنه ، ولكننا نحس - كما قلنا - بقلة الحرارة التى ينفثها حب حقيقى ، ومما يؤيد هذه الحقيقة أن الشاعر يستعيض عن الواقع بأحلام الخلود :

**إن يكن حبى خلدًا أعطنى خلد الممات**

---

(١) راجع هذه القصيدة فى الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، ص ص١٧٣ ، ١٧٤ .

وأرحنى من خلود الشجو موفور الأذاة

إنما الخلد نجاء النفس من وخز الشكاة

وقد جره ذلك إلى الاستطراد فى بعض المعانى بغير مقتض فنى ، وبغير أن يضيف زيادة :

إن حبى ، درة تجلو دياجى الجفوات

إن حبى مثل حب الله غفرانا لعاتى

كيف تلحانى على حب به تبلو أناتى

إنما الحب ضياء من صبيح الصفحات

تبعث الحب إلينا كابتعاث اللحظات

فمثل هذا الاستطراد ما أضاف نموًا للقصيدة ، ولايعدو أن يكون إلا تكرارًا وتقريرًا جافًا ، ولكنه أحيانًا يستطرد بإضافة جديدة جيدة ، يقول :

آه لو تألم أخذ الدهر من زاهي الشيات

وترى حسنك نهبا للخطوب المقبلات

وترى آثار أقدام الصروف الدالفات

وترى الأرض كأنا في العصور الخاليات

وترى الأرض كأنا في العصور القادمات

لا ترى للحسن إلا الحب فرض الفرصات

فتواتينى بعطفك منك يجلو حسراتى

لا يرى القسوة دينًا غير قن الغفلات

فيها تصويره المعنويات وخلعه عليها صفات حسية ، تريك المعنى مجسمًا ورؤيته الذكية لصورة الأرض فى العصور الخاليات والقادمات . وإن كنا نرى فى

قوله «لاترى للحسن إلا الحب فرض الفرصات» ضعفًا وركاكة ؛ لأن كلمة «فرض الفرصات»لم تضف جديداً فضلاً عن تهافتها ؛ لأنه يريد أن يقول لاترى للحسن إلا الحب ، ولكنه اضطر للحشو غير المقبول لإتمام الشوط .

ومما يؤيد ماذهبنا إليه من الحرمان ، وأن القصيدة فى مخلوق الخيال ، قوله فى نهايتها :

**ولئن خاتلنا الحب بغض القسمات**

**فلعل الموت مكذوب كتلك الخدعات**

**ولعل الحب يجزى صالحا بعد الممات**

وإن كنا نرى فيها نظرة صائبة دقيقة لمظاهر الحياة والموت ؛ لأن كل ماتقع عليه العين ويفكر فيه الذهن خيال . وفى القصيدة بعض اللفتات النفسية البارعة ، التى يقع عليها الملهمون من الشعراء ، يقول شكرى :

**أنت عنوان لما أنشده فى الخطرات**

**كل كون كان أو لم يك من ماض وآتى**

**فيك لى منه أمانى النفوس الساميات**

وينظر إلى محبوبه نظرة حزينة ، ولكنه يصوره فى صورة جميلة ؛ إذ يقول :

**أنت كالضوء ، وهل يرضى الأكف الناشدات**

**إن تخل دمعى نجوما فى ليالى الجفوات**

**فاسر فى ضوء نجومى وائتنى فى الفلتات**

**أو تخل دمعى درا فادخر من عبراتى**

**أوجيب القلب ماقدر لى فى النبضات**

**لسوى عد الرزايا والهموم الطارقات**

وما أدق قوله وأبرعه «فى ليالى الجفوات» ، فإن دموعه مضيئة كالنجوم التى لاتلمع إلا فى الليالى الحالكة كليالى الجفوات النابغية .

والجزء الذى اتفق فيه مع العقاد ، والذى رأى فيه الدارس تشابهًا مع شكسبير، قوله :

**سألوا فى أى حال هو أحلى فى الصفات**

**قلت أحلى ماتراه فى حديث اللحظات**

**فإذا أرخى لحاظًا كان أحلى فى السبات**

**وهو أحلى منه إن فاه وأحلى فى الصمات**

**وهو أحلي ماتراه عاطيا باللفتات**

**وإذا صد فما أحلاه جهم النظرات**

**فإذا لان فما أحلاه طلق اللمحات**

**كل حال منه أشهى حالة فى الحسنات**

فى هذه الأبيات نحس بتدفق النظم وسهولة التأتى ، وإن كنا لانوافق الشاعر على قوله «فى السبات» ؛ لأنها لاقيمة لها بعد قوله «فإذا أرخى لحاظًا» وهو الذى أمه الشاعر ، ولكن القافية ألجأته قسرًا إلى هذه الكلمة التى لم تزد شيئًا ، ومن هذا القبيل قوله فى غير هذه المقطوعة «إن حبى مثل حب الله غفرانًا لعاتى ، فتركيب العبارة فيه ركة ، فاللام هنا أشبه بالعكاز ، ومثلها الكاف فى قوله : «إنما الخلد كقيد» فاللام والكاف هنا نشعر إزاءهما بحبسة فى النطق تمنع سيولة النظم ووحيه ، وقوله «وأرحنى من خلود الشجو موفور الأذاة» نجد العبارة الأخيرة من البيت عند المازنى ولاندرى أيهما سبق إليها ، وإن كنا لانعتد كثيرًا بهذا السبق ؛ وبخاصة فى مثل هذه الكلمة البسيطة .

قصيدة العقاد نحس وراءهاوهجًا وحرارة لانحسهما فى قصيدة شكرى ، وماذاك - فيما نحسب - إلا لأن قصيدة العقاد يرفدها حب حقيقى يشعل هذا الوهج وتلك الحرارة ، ولسنا نقول بهذا لنرجح الواقع على الفن ، فربما كان ثمة

قصائد ليس لها واقع خارجى وهى فى ذروة الفن لأن لصاحبها أو لأصحابها قدرة على التحليق والتخيل الخالق ، وربما كانت هناك قصائد لها صلة بالواقع ولاتسوى فتيلاً فى حقل الفن ، وإنما الذى نعنيه - بجوار القدرة الفنية - أن لقصيدة العقاد وهجًا وحرارة افتقدناهما عند شكرى وأرجعنا هذا إلى صلة القصيدة وصاحبها بالواقع ، وهذا على جهة الاحتمال لا القطع الصارم .

تبدأ قصيدة العقاد بالحديث عن الخمر ، وليس الحديث عنها تقليدًا لطريقة قديمة فى وصف الخمر واستهلال القصائد بها كما فعل أبونواس ، فإن تلك الطريقة النواسية تقليد فى كراهة التقليد ؛ لأنه ماصنع شيئًا إلا إبدال صورة بصورة - صورة الخمر بدل الطلول .

أما حديث العقاد عن الخمر فليس من هذا القبيل ، والخمر هنا ليست إلا ذريعة خالدة لإراغة السلو ، وستبقى- إذ صح لنا التنبؤ - خالدة لهذه المهمة وغيرها فى حياة الإنسان ، ولاجناح على العقاد ومن يأتى بعده أن يصف الخمر مادام منفعلاً بها صادقًا فى وصفها مرتئيًا فيها سلوى وعزاء ، وهذا فهم صادق لحقيقة التجديد، التى ينادى بها العقاد وصاحباه .

**يانديم الصبوات أقبل الليل فهات**
**واقتل الهم بكأس سميت كأس الحياة**

ويستغرق هذا الوصف أربعة عشر بيتًا ، ولعل الخمر هنا رمز يتخذه الشاعر معبرًا للتعبير عما يريد أن يقول فى بعض هذه الأبيات :

**هاتها كالقطر أو كالتبر أو كالجمرات**
**علنى أقبس منها نفسا يحيى مواتى**
**هى تاج للصعاليك وكنز للعفاة**
**وهى فردوس لمن أفرد فى هذى الفلاة**
**وهى سكر العين باللون سنى اللمحات**

وهى سكر الأنف بالعطر زكى النفحات
وهى فى الكأس وفى النفس أحب النشوات
عوض عما يؤاتى من هوى أو لايؤاتى
إن فى الخمر لصحواً من خمار الحادثات

وصف جيد للخمر ، تجتليه العين سكر منظر ، وتستمتع به الأنف طيب مشم، وينتشى بها المرء فى الكأس وفى النفس ، وهى فى آخر الأمر عوض عما يؤاتى أو لايؤاتى «من هوى» وصحو من خمار الحادثات ، ولانستطيع أن نضيف شيئًا إلى وصف الشاعر إلا ماكان من قبيل نثر المعانى ، الذى يخل بروعة النظم .

وتدور الكأس مع المقطع الثانى وهو فى الغزل ؛ مما يشعر أن الخمر محور لهذا الجزء من القصيدة أيضًا ، فهى بمثابة الصورة الأم التى تلم حولها الصور الأخرى، والحرمان الشديد وراء هذه القصيدة ، وتنفس الشاعر لايكون إلا من خلال الخمر بما لها من امتداد تاريخى فى التراث موغل ، وبما لها من أفاعيل النشوة التى تكون صحواً من خمار الحادثات ، ولعلها هنا بمثابة الرمز أو البديل لهذا الحرمان الموحش.

وهذا الجزء الغزلى قمة فى الإحساس والتعبير ، وليس هذا من قبيل الكلام الإنشائى أو المبالغات الخاوية التى لايسندها نظر صحيح ، وإلا فبماذا نصف مثل هذا التدفق المركز ،وهذا الإحكام البليغ فى صورة من بحر الرمل المجزوء ، وقصار البحور تتطلب قدرة فائقة فى التركيز الشديد مع أداء المراد ؛ لأن إطار التفعيلات فيها لايحتمل حشواً وتطويلاً ، إذ إنهما يضحان فى هذا الإطار الضيق من البحور أكثر من وضوحهما وفى البحور ندحة وفسحة ، وللعقاد غرام - وبخاصة فى أخريات حياته - بمثل هذا اللون من البحور القصار ، وبمثل هذه القدرة الفائقة فى التعبير الموجز البليغ ، يقول فى هذه القصيدة :

هاتهـا ، واذكـر حـبـيب النفس يـاخـيـر ثقـاتى
ودع التـلمـيح واجـهـر باسـمـه دون تـقـاة
أتـرى نحـرم حـتـى ذكـره فـى الخلـوات
صـفـه لى صـفـه ، ومـاكـان بمجهـول الصـفـات
غـيـر أنى أمـتـع السـمـع بحظ الحـدقـات
صـفـه فى عـيني ، ومـاتعـدو بـه وصف الأضـاة
صـفـه فى قـلبى لـو اسطعـت ، وترجم زفـراتى
أتـرى أليـق منه بـاصطيـاد المهـجـات
أتـرى أمـلـح مـن خـطـرتـه فـى الخـطـرات
أتـرى أصـبـح من خـديه بين الوجنـات
أترى أعـدل من قـامـتـه فـى الصـعـدات

أترى - على حد قول الشاعر - هذه السيولة وهذا التدفق البالغ فى الصياغة ، وعدم وجـود نتـؤات تحتجـن هذا التدفق وتلك السـيولة وهذه الصـياغـة البليـغة المحكمة؟ ثم . . أترى هذه اللهفة البادية والحـرارة اللافحة ، التى تجابهك بها هذه التساؤلات ، ولاتتركك تأخذ بأنفاسك حتى لاتفيق من خمار هذا التأثير الوحى ، والتى تصور لك ملاحة الخطرات ، وصباحة الوجنات ، واعتدال القامات ، وقبل هذا لباقة اصطياد المهجات ، التى لهـا دبيب خفى فى أوصال النفس ، وقد أذكاها ماجاء بعدها من ملاحة الخطرات .

وفى القصيـدة بيت يصف فيه شعـر المحبوبة ربما رأى بعض الناس فيـه خروجًا عن مذاهب العـرب فى وصفهم الشـعر بالسواد الفـاحم ، وليس ثمة مـثلبة على الشاعر فى هذا الخـروج ، وإنما المتابعة والاقتـياس الخروج والمثلبة ، فـالشاعر هنا يصف محبوبته هو لامحبوبة امرىء القيس ولا البحترى ، ومن بدهيات الأمور أن يصف مايراه هو وما أحسـه لا ما رآه قبله الأقدمون . فشعر محـبوبته ليس أسود

فاحمًا ، وإنما هو أصفر مثل الذهب ؛ ولذلك قال :

**ذهبى الشعر ، ساجى الطرف حلو اللفتات**

ثم يكرر العقاد مايعد بمثابة المفتاح السحرى ، وهو قوله «هاتها» :

**هاتها ، باسم حبيبى قاتل الله عداتى**
**آه لو تعلم ماذا في اسمه من عزمات**
**أترى الأحرف فيه غيرها فى الكلمات**
**هاتها عشراً وكرر وصفه العذب مئات**
**صفه غضبان وصفه لاعبًا بين اللدات**
**ضاحكًا كالصبح يجلو بالضياء الظلمات**
**صفه فى كل كساء ، صفه فى كل الجهات**
**هو فى الروضة إذ يمشى أحب الزهرات**
**وهو فى القفر رياض من هوى لامن نبات**
**تم والله فيا ليت به بعض الهنات**
**تم حتى أتعب العين بفرط الحسنات**
**إن بعض العيب حلى للسجايا والسمات**

فى هذا الجزء إبداعات جيدة وبخاصة اسم الحبيب ومافيه من عزمات ، وكيف أن الأحرف فيه غيرها فى الكلمات ؛ مما يوضح التقاط الشاعر للأشياء البسيطة القريبة التى يمر الأغرار بها غفلاً ، واستطاعته أن يفجر فيها طاقات فنية خصبة ، ثم تأمل المحبوب الذى هو فى القفر رياض من هوى لامن نبات ، وكيف يصنع هذا الاستدراك صنعه فى النفس ، ثم عبر الشاعر عن تمام حسن المحبوب فى أبيات ، تشى بالحسرة واللهفة :

تم والله فيـــاليت به بعض الهنات

تم حتى أتعب العين بفرط الحسنات

وبالطبع هو يتمنى للمحبوب المزيد من الحسنات ، ولكنه لحرمانه منه يتمنى له بعض الهنات ، وهذا التمنى دليل على حبه الشديد وكلفه الزائد ، وقد ختم المقطوعة ببيت فيه تأمل وحكمة ولكنه مستمد من أبيات قبله ، ومن هنا لايكون زيادة تقطع سلسلة الاتصال الموجودة بين الأبيات «إن بعض العيب حلى السجايا والسمات» .

ثم يختتم العقاد القصيدة بالحديث عن الوشاة، وكيف أنهم أفسدوا عليه المحبوب، كل ذلك فى تأمل دقيق لنفوس البشر، وتنتهى الأبيات بصرخة شديدة ولهفة حارة للخمر، ويغرق فيها حسراته:

ما به ـ والله ـ من صد، ولا منع صلات

غير أن الناس لا كانوا تناهوا فى الأذاة

ويلهم يحمون مالم يملكوا من طيبات

علموه ـ وهو لا يعلم ـ ما كيد الغواة

ليتنى علمته الوصل، وتكذيب الوشاة

صفه بل أمسك فقد هاجت عليه حرقاتى

جمح الوجد بأشجانى، وضاقت أزماتى

هاتها صرفًا، وأغرق فى طلاها حسراتى

عوضا عما يؤاتى من هوى أو لا يؤاتى

وفى هذا المقطع الأخير حزن دفين لا تغرقه غير الخمر، وحسرة لاذعة وقدرة نادرة على تأمل الناس «ويلهم يحمون. . .» ومقدرة على الصياغة المحكمة التى تشى بها الجمل الاعتراضية، وبخاصة فى مثل هذا الوزن القصير، مما يؤكد ما

ألمحنا إليه من قدرة العقاد وركوبه الصعب «غير أن الناس ـ لا كانوا ـ . . . . وعلموه ـ وهو لا يعلم . . »وكيف أن الأولى يضح منها ضيقه الشديد بالخلق، والثانية تبين إلى أى مدى براءة المحبوب، وبغيرهما ينقص المراد نقصًا فاحشًا.

والقصيدة بعامة بها لوحتان : الأولى وصف الخمر، والثانية فى الغزل وكلتاهما قريب من قريب، وكل لوحة منهما تتمتع بالصدق الفنى، الذى يسرى فى كل كلمة وحرف بله فى كل بيت، كما تتمتع أيضًا بإحكام الصياغة وبراعة النسج، واللوحتان ـ متآزرتين ـ تقدمان تصورًا دقيقًا لما أراغه الشاعر، واستطاع أن يؤثر فينا وأن يقنعنا بمأساته، ولا نستطيع أن نقدم لوحة على لوحة وإلا قلنا شيئا آخر، وإن كنا نستطيع فى خلال كل لوحة على حدة أن نقدم بيتًا منها على بيت على صعوبة، فضلاً عن أن تزحزح الأبيات عن مكانها لا شىء وراءه يصنعه الناقد، ووضع الشاعر لها أسد، وهذا الإحكام الذى ألمحنا إليه يقف وراءه، وضع كل كلمة فى مكانها، بحيث نقول شيئا غيرمراد الشاعر، حين نحذف أو نغير المكان.

القصيدة الثالثة هى قصيدة المازنى، وهى دون القصيدتين السالفتين، لأن فيها نظرًا إلى تائية الشريف كما أسلفنا، وتجربة القصيدة ليس فيها لذاعة وحرارة، وإنما امتاح الشاعر من ثقافته وذاكرته لا من بكارة الإحساس وحرارته، ولذلك نضحت فى القصيدة الصور التراثية، التى يربطها خيط لغوى تستثيره الكلمة، لاخيط شعورى ينمو بتكامل عناصر الصورة وتآزرها، ومثال هذا الامتداد اللغوى وصفه نفرة المحبوب التى ترتبط بالغزال، فمجرد النفرة أثار فى ذهن الشاعر ـ لغويًا ـ صورة الغزال ونفرته وكثرة وثباته، ومادام هناك غزال نافر فلا بد من صائد، وصائدنا هو الشاعر المعذب بالنفار والصد، ويضاف لهذا الامتداد اللغوى أن الصورة فى ذاتها ممتدة من التراث والذاكرة، يقول المازنى هذا المعنى فى الأبيات التالية:

معرضًا فى غير صد ... دانيًا غير موات

نافرًا وهو قريب ... وهو جم اللفتات

أتمناه ولكن ... كيف لى بالأهبات

ضعف الصائد عن ظبى كثير الوثبات

وقبل البيت الأول من أربعة الأبيات المتقدمة، ثمة بيت يحمل صورة أخرى، هو:

**غـــرس الـوجـــد وأجـنى الشـــوق ممرور الجـناة**

والشاعر لا ينسى هذه الصورة رغم ما عوقتها أبياته الأربعة، فيعود ليتذكر بعد حديثه عن الظبى غرس الوجد وجنى الشوق، فيقول :

**لـقطـفنـاه، لو ان الحـــسن دانـى الثـــمـــرات**

وهذا البيت لو قفز أربعة أبيات من أمامه لكان له وضعه حيث يكون. ولكن الفكره التى تحملها القصيدة ـ رغم ضعفها وعدم تماسكها وعدم حرارتها ـ فكرة الشكوى التى هى باب كبير فى الشعر المازنى ـ أو فى الشعر عمومًا ـ لأن قصيدة الشعر شكوى دائمة من نقص الوجود، الذى يقع عليه الشعراء، حنين غامض ملح لطلب الكمال، وهذه الفكرة قد خلصت لها بعض أبيات المازنى فى هذه القصيدة، واستطاع أن يلبسها ثوبًا من التعبير لا يخلو من جمال تحس من خلاله بالإشفاق على الشاعر، الذى عذبه إخفاقه فى ساح الغرام، فركن إلى الشكوى ودعا أصحابه إلى الهناءة مع من أحبوا، ولا يخلو الأمر «فى ثنايا ذلك» من آهة مصدورة، ينفثها الشاعر من قلبه الذى هو سبب هذه الإخفاقات لأنه كثير الصبوات، يقول المازنى:

**آه من قـلب إلى الحـسن كـثـيـر الصـبـوات**
**يا صـحـابا أقـصـدتهم أعين غـيـر ثقـات**
**يتـشـاكـون غـرامًـا غـيـر كـابى الجـمـرات**
**فـى زمـــان يـقظ الآلام مـــوفـــور الأذاة**
**أنـا بالـشكـوى خـليـق فـــدعـــونـى وشكاتـى**
**واهنـأوا أنتـم بقـــرب من غـــزال أو مـــهـــاة**

هذه الفكرة هى التى أمها الشاعر وإليها قصد، وقد خلص له المعنى كما خلص له التعبير.

وحسبنا فيما تقدم من موازنات أن نعرف أين يقف المازنى بين صديقيه، وأن نعرف معدن شاعريته، وقد استطعنا أن نتبين قامته الفارعة. . . على قصرها فى الواقع . . بين هاتين القامتين اللتين لم تغضا منه، ولم تغط ظلالهما عليه، بل ظل شعره متميزًا يستطيع الدارس أن يدرك ملامحه برغم اندراجه مع زميليه فى مدرسة واحدة ، وهذا من آيات الأصالة لأن الشاعر لا يحمل أخاه، ولأن الحياة تتسع لأكثر من شاعر يعبر عن وجه من وجوهها المختلفة المتباينة، وإحساس المازنى الصادق، وتعبيره الجيد البليغ؛ مما يؤكد شاعريته الأصيلة فى ديوان الشعر الحديث.

# «قصائد من المازنى»

## ظمأ النفس إلى المعرفة

أحس كـــأن الدهرَ عـمـــرى وأننى ... أخـو مـغـرق الأرضين بالفيـضـان

أقلّب طـرفى فى الســمـاء كطرفـه ... وأرصـد مـاراعـاه قـبل زمـانى

كـلانـا على بعـد المسـافـة بيننا ... تلاقـى على ألحـاظه القـمـران

وأقـرأ فى صحف الـسموات أسطرا ... بهـن دنًا خـفـاقـة اللمـعـان

تخـذتُ فـضـاء الله مـثـوى لخـاطرى ... ليـشـرد فى الدنيـا بغـيـر عنان

يمـر به مـرّ البـروق وينـثنى ... وقـد جـهـدته حـدّةُ الطيـران

أعـالـج سـرًا لايماط حـجـابه ... ومـأربُ قـلبى ذلكم وجنانى

وسعتُ لغـات الريح والبحر خبـرة ... وكل شـهـاب لامع الخـفـقـان

ولكنـه مـاخـيـر علـمى وكلهـا ... ضـمـومٌ على السـرّ المغيّب حـانى

سئمت شرودَ الفكر فى غامض الفضا ... وهيـض جناحـاه من النَّهَـضَـان

وعـادت إليّ النفس مـهـدودة القـوى ... تئـن من الإسـفـاف والـشـولان

تحـن إلى ظـلّ من الـرخـو وارف ... وطول جـمـامٍ رافـه وليـان

ومن لـى بأن لاترفـع العينُ لحـظهـا ... ولاتجـتـلى فـى الـناس أى هـوان

غـرضتُ بملك واسع لايحـده ... سـوى أفـق دان ولـيس بـدان

أرونىَ قـيـدا يعـرقُ الجسمَ مسّه ... ويُضـوى كـأضـلاعٍ علىّ حـوان

# مراجعة الحُبّ

لا اليأس مجد ولا الآمال نافعة ... أخبثْ بعيش على الحالين مذمومِ

يادرة غصت فى لج الحياة لها ... أأنفض اليوم منها كف محروم ؟

مالى على الحب مسئومًا ألارحموا ... دون الضلوع وجيبا غير مسئوم

ما لى كأنىَ أعمى لا دليل له ... إلاّ عصاه وسمع غير معصوم

نفسى تأبَّى لكم إلاّ طواعية ... وأنت تأبى سوى ظلم وتجذيم

أحبكم (وتحبونى) فما لكُم ... تجفون حتى يثير الظلم منظومى

إن كنت ذا عنف فالدهر ذو عنف ... لارفق فيه ولايصغى لمظلوم

يأتى الزمان على حبى وحسنكم ... وهل على الدهر ناج غير محطوم

كن كيف شئت وفيا أو أخا ملل ... لابد لى منك مثل الماء للهيم

فعد إليَّ يعد للعيش رونقه ... وتشرق الشمس فى أحناء حيزومى

أنت الطبيب لداء قد بُليت به ... فداوه باقتراب غير مفصوم

وذاك أحسن من ليل لبثت به ... شرابىَ المهل فى بستان زقّوم

## الإنسان والغرور

أقم وادعًا واصبر على الضيم والأذى ... فإنك إنسان وجدك آدم

وهبك على الدنيا سخطت وظلمها ... أتملك دفع الظلم والظلم لازم ؟

بنى آدم ما للغرور رمى بكم ... مراميه حتى غدا وهو حاكم

تظنون أن الأرض قد بسطت لكم ... ومن أجلكم تجرى الغمام الروائم

وأن النجوم الزهر عُلّقنَ زينة ... تقرُّ بها الألحاظ وهى هوائم

فما لكم لاتنظمون نثيرها ... فيصبح منها حليكم والتمائم ؟

أيا ساعة مُليّت فيها بحسنه ... نشدتك إلا كرّ منك نظائر
وإنى لأدرى أن فى البعد راحة ... لمن تتصبَّاه العيون السواحر
ولكننى جربت قربك والنوى ... فما قَرَّ لى بال ولاجفَّ حاجر
ولا التذ طعمَ القرب قلبي ولا النوى ... ولارقدت فى الحالتين الخواطر
وما أنا إلا كالمخادع نفسه ... وقد يخدع النفسَ الفتى وهو شاعر
تمر بنا كالحلم قصر طوله ... لذاذته حتى كأنك طائر
أأهواك أم أقلاك والله إننى ... لأجهل ماتطوى عليه الضمائر
وإنى لتعرونى لمرآك رجفة ... كما انتفض المذعور والخطب فاغر
وإنى لتعرونى لذكرك حنة ... كما حنَّ للأهل الغريب المسافر
فأنت جحيمى فى الحياة وجنَّتى ... وأنت عدوى والحبيب المؤازر
وأول شيء أنت يجرى بخاطرى ... وآخر شيء أنت يُجريه خاطر
ملأتَ شعابَ النفس حتى كظظتها ... وأخليتها فالنفس صحراء غامر
فواها على عهد السلو وطيبه ... وواها له ما أنّ أو حن ذاكر
حقيبةُ شر ذلك الحب بئس ما ... تحمّلنيه فى الحياة المقادر
أراه على لذاته ونعيمه ... يفاجئنا منه رميض وناعر
وهل تُشترى اللذات إلا بضعفها ... من الألم الدامى ومما نحاذر
وما مطلبى سحرُ العيون كأنها ... - إذا لامحت عينى - النجوم الزواهر
ولانضرة الخد الأسيل كأنما ... غذته على الدهر الورود النواضر

ولا الثغر إمَا يستدير كأنما ... تهيأ للتقبيل والشوق ثائر

فقد يحرق اللحظ المضيء ويخنق الأ ... ريج وترديك الثغور الدوائر

ولكنما أبغى إذا ثار ثائرى ... فؤادًا أناجيه وعقلا أسامر

وقلبًا إليه أستريح بدخُلتى ... وأفضى إليه بالأسى وأشاور

كما خفقت يومًا على الزهر نحلة ... وظلت تشاكيه الهوى وتسارر [1]

قضيتُ حياتى بين أثار من مضوا ... ففى حيثما سرَّحت طرفى مقابر [2]

أولئك إخوانى الذين اصطفيتهم ... وآثرتهم بالود والقلب حائر

فيا بؤس للحى الذى لايروقه ... من الناس إلا من تضم الحفائر

أخادع نفسى فيهمُ وأغشها ... ويخدعنى منهم نصيح وماكر

وما لىَ شغلٌ فيهم غير أنه ... تُشابه حالى حالهم وتناظر

فيا زائرًا أفديه بالنفس لو درى ... أغثنى وكن عونى إذا خان ناصر

وَأدت حياتى فى شبابى مكرها ... وما امتلأت مما تحب النواظر

ولكنما بينى وبين مواردى ... حجاز وقد سُدَّت علىَ المصادر

فعد لى فإنى لست أملك مذهبى ... وكن لى فإنى صادق العهد شاكر

وهبنى إذا ماشئت ميتًا تزوره ... أليس لمن يقضى من الناس زائر ؟

---

(١) هذا البيت لشاعر إنجليزى لايحضرنى اسمه .

(٢) يريد الكتب .

## الشاعرِ المحتضرُ

فـتى مـزّق الحب المبـرح قلبـه ... كـمـا مزّق الـظلّ الضـيـاءُ أياديا
قـضى نحبـه كالمـزن فضنَ مـدامـعًا ... وخـلّـفـن آثـارًا لـهـن بـواديـا
ولما دنـا منـه الحـمـام ورنّقـت ... منيـتُـه نـادى الصـفى المصـافـيـا
وكـاشـفـه والعين ينهل مـاؤها ... بما كـان يخـفى من هوى ليس خـافيا
وقـال وضم الـراحـتين علـى يد ... كـسـاها شـآبيب الدمـوع الجـواريا
«بقـيتَ وبلـغت الذى بت راجـيـا ... وإن كنتُ مـا أعطيت منـك مـراديا
سيسقى الردى قلبى عن الحسن سلوةَ ... فـلا بتَّ حـران الجـوانح صـاديا
ولاعـجبٌ أن يطـفىء الموت غلـتى ... ويصـبح داءُ الـعـالمين دوائيـا
كـتمـتك حبى خـشية الصـد والقلى ... وحـصّنتـه حـتى رمى بـى المراميـا
بعـدت كـمـاضى الأمـس عنى غـاية ... وأقـرب شـيءٍ أنت مـشـوًى وثاويا
أضـرّ بـىَ الكتـمـان حـتى عـددتنى ... خليـلا من التـبـريح والوجـد خـاليـا
كـأنىَ لـم أحـمل هواك ولـم أبت ... أخـا شـغل يغـرى بصدرى الـقوافـيا
كـأن قـريـضى لم تكـن أنت سـرّه ... ومـوحى مـعـانيـه العـذاب البـواقـيا
مضى مـا مضى لم أدر مـا لذة الهوى ... ولاذقـتـهـا إلا بطـرف خـيـاليـا
إذا لج بى شـوقى قـنيت حـيـائيـا ... وظلت تـبـاريح النزاع كـمـا هيـا
نجـيى الصخـورُ الصمّ أركب ظهـرها ... وأفـرغ فى أذن الـظلام شكـاتيـا
ومـابىَ حب الصخـر والريح والدجى ... ولكـن حـالات لـهن كـحـاليـا
أرى فى أديم الطود عـاث برأسـه الـ ... خـرابُ وواراه الضبـاب مـثـاليـا

وفى الظلمة الطخياء من ظلمة الأسى ... مشابه تدريها القلوب صواليا

إذا الليل وارانى اطرّحت الأمانيا ... وكاد جمود الموت يصبى فؤاديا

وماكنت آبى الموت سهلا مذاقه ... لو انى إذا استأويته كان آويا

أرى الموتَ ظلَّ العيش يبسط تحته ... فيغشى أدانيه ويخطى الأعاليا

ألم تر للأشجار تمتد تحتها الـ ... ظلال وتكسو الشمس منها النواصيا

فإن تحتطب يوما تولِّ ظلالها ... وما إن يزيل الموت إلا الدياجيا

كذاك حياة الأفضلين فلاتلح ... إلى الظل وانظر نورها المتراميا

فيا مرحبا بالموت يثلج بردُه ... فؤادى وينسينى طويل عنائيا

تموت مع المرء الهموم ولن ترى ... ككأس الردى من علة العيش شافيا

ولست على شيء بآسٍ وإننى ... لأهجر ظهر الأرض جذلان راضيا

وما طال عمرى غير أن لواعجا ... أطلن عنائي فاجتويت مقاميا

أهاب بنا داعى الردى فترحموا ... وقولوا سقى الله القلوب الظواميا

وقم ودِّع الأرضين عنى فإننى ... بقيد الردى المحتوم إلا لسانيا

وقل لجبال عاريات مخوفة ... تخال مواميهنّ للجن واديا

ألا أطلقى لى صوته والأغانيا ... وغذّى بذكراها الشجونَ النواميا

ألم تعِ عنه جنّةٌ عبقرية ... فقد كان يغشى مثلهن الفيافيا

وكيف تؤدى ماوعاه سماعها ... وماتحسن الجنان إلا التعاويا

وقل ياعيون الزهر غضى وأطرقى ... قضى عاشقٌ ، أجلى ، العيون الروانيا

لقد كان فى روض الجمال خميلة ... سقتها دموع الحب لا الطل ساريا

فأعطشتُها حتى تصوّح عودها ... وألوى بها عصف الرياح سوافيا

لقد أفردته نفسه بين قومه ... فعاش خيالا بينهم مترائيا

وماكان إلا قوة أحدقت بها ... حوائل ضعف أمرها ليس باديا
فعاد وما يسطيع حملاً لساعة ... فكيف بأيام حملن لياليا
وماكان إلا كالسحابة أفردت ... وقام بها الرعد المجلجل ناعيا
وما كان إلا موجة قد تحطمت ... على ساحل للعيش كم بات راغيا
وماغاله موت ولاهاضه كرى ... ولكن غدا من حلم ذا العيش صاحيا[1]
وما مات إلا الموت يافجر فائتلق ... وحول سناء طلك المتلاليا
ولاغاب إلا فى الطبيعة أمه ... وقدمًا أعارته الضلوع الحوانيا
فقوموا اسمعوا فى هزمة الرعد صوته ... وفى سجعة الغريد مابات شاديا
وفى حيثما تبدو لنا القدرة التى ... دعته فلباها ولم يك عاصيا

* * *

أرى عينك اخضلت وعهدى بدمعها ... عصيا على ريب النوازل آبيا
لقد جل هذا الجفن عن عادة البكى ... وقد قل فيض الدمع إن كنت باكيا
تعز ولاترخص لموتى أدمعًا ... أباة على سوم الغرام غواليا
سواء علينا إن طوتنى حفرتى ... أبكيتنا أم بات قلبك ساليا
بحسبى أنى سوف ألقى حماميا ... وأنت إلى جنبى تراعى فنائيا
ولاتحسبوا أنى قنعت تكرمًا ... ولكن لأمر ما عقرت الأمانيا»
وردد أنفاسا ترددن برهة ... وحشرجن حتى راح ماكان جائيًا
فخان الحبيب الصبر فانقض فوقه ... ينادى مرمًا لا يبالى المناديا
فلما رأى برق الأمانى خلبا ... غدا يستجير الدمع ماكان جاريا
رأى ما جناه حسنه ودلاله ... فقال أيا ويحى لقد صرت جانيا

(١) هذه الأبيات للشاعر شلى .

عـدتنى العـوادى لـم تكن بى غـبـاوة ... ولكنـنى كنت امـــرأ مـتـــغـابـيـا
سـواسيـــة من يقـتل النفـس عـامـداً ... ومن يدع الـتـبـريح يقـتل ظامـيـا
لبست جـمـالاً مـن قـريضك خـالداً ... ورحت وقـد ألبـستـك الموت ضافـيـا
وسـوغـتنى من طـيب ذكـراك نفـحـة ... وســوغـــتك الآلام والدمع قـانـيـا
لغلفـتنى عـارى الجـمـال مـن التى ... تزين وكم أمـسى وأصـبح كـاسـيـا
أعض علـى الماضى البـنان تحـســـرا ... وهل ينـفـعنى الـيـوم عض بنـانـيـا
لقـــد كنـت أقـســـو هازلا ولـربما ... غـدا الهـزل بابـا للشـقـاء وداعـيـا
فـبـئست علـي طول التـفـرق رقـة ... أحس بـهـــا تذكى علـى الدهر نـاريا
ستـبقى ويمـضى من علقت وإن تمت ... فـقد يحـجب الغـيم النجـوم الدراريا
وأنك نـور تســـتـــضـىء به الـدنا ... وغـيـرك ظل سـوف يصـبح فـانـيـا
وأنك حـــسن ليس يـبلى وغـــيـره ... وديعـــة دهر يســـتـــرد العـــواريا
فـيـا آخـــذاً من دهره بنصـــيـبـه ... هنيـــئـًا لك المجـد الذى لـيس ذاويا
وإنى لأســـتـــســـقـــيك كل دجـنة ... وإن كنـت أحـــرى أن تبل فـــؤاديا

# عزاء الشعراء

سيعرقنى يأسى ويغلبنى ضنى ... يغذ بنفسى للبوار ويوجف
فلاتنفسوا شعراً على مفوفا ... له لو علمتهم جانب متخوف
كما نظمت هذى الرياح غمائما ... لها من غروب الشمس وشى مطرف
يهددها مما يضم ممزق ... ومما يوشيها مذيب ومتلف
لنا الله من قوم نذيب نفوسنا ... ويجنى سوانا مانشور ونقطف
ويصدر عنا الناس ريا قلوبهم ... ونحن عطاش بينهم نتلهف
نذوق شقاء العيش دون نعيمه ... على أننا بالعيش أدرى وأعرف
ولكنه ما أخطأتنا لذاذة ... إذا بلغ السؤال القريض المثقف
إذا هو سرى عن لهيف مفجع ... وآنس قلباً موحشاً يتشوف
فما نحفل الدنيا إذا جل ظلمها ... ونحن من الأيام والعيش ننصف

## محاسبة النفس

أضعت شبابى بين حلم وغفلة ... وأنفقت عمرى فى الأمانى الكواذب

ولم يبق لى شىء وقد فاتنى الصبا ... وأدبر مثل السهم عن قوس ضارب

تعود الغصون الصفر خضراً وريفة ... مرنحة بعد الذوى والمعاطب

وليس لما يمضى من العمر مرجع ... ولافرصة فاتت لها كرآيب

بلى زاد فى علمى وفهمى وفطنتى ... وحلمى أن جربت بعض التجارب

ولكن فى عزمى فلولا كثيرة ... تغادرنى فى العيش طوع الجواذب

وماخير علم فى الحياة وفطنة ... إذا حال ضعف العزم دون المطالب

كأن لنا عمرين ، عمراً نريقه ، ... وآخر مذخوراً لنا فى المغايب

ألا ليت عمر المرء يرفى كثوبه ... ويرقع منه جانب بعد جانب

# عبث الحياة وباطلها

## إلى شكرى

تبغى حياة لاتحسُّ صروفها ... وتذمُّ طول تصوّبٍ وتصعُّدِ

لهفى عليك وقد تخالجك الأسى ... وعليَّ من خلق الهموم الأوغد

إنا كلينا واجدٌ متجلد ... يخطو إلى الغايات خطو مقيّد

وكأنما كتب الزمان حياتَنا ... بدمٍ كحاشية الظلام الأربد

وكأنَّ أسطرها لشدَّةِ هولِ ما ... يحوين مرهوب الصلال الشرد

قد كنتُ أومن بالحياة وطيبها ... فى ظل أيام الشباب الأبرد

فاليوم أكفر بالنعيم كأننى ... أعمى يظل بما به قد يهتدى

وأمدّ للدنيا يدا مبتورة ... وأزلّ حيث ثَبَتُّ عَثرَ مُصَفَّد

وأروح أجنى الشوك غير مقلم ... ولكم قطفتُ جَنَى الغصون المُيّد

عادت لياليا خريفًا كلها ... لهفى على ورق المنى المتبدد

ماخيرُ عيشٍ صوَّحَتْ أفنانه ... وتساقطت أوراقهن على يد

لكأنَ مَنْ شَمَلَ الوجود بعدله ... ما إنْ يبالينا كأنْ لم نوجد

ماذا يفيد تسخّطى وتبرّمى ... بالعيش أم ماذا يفيد تجلدى

فاردد على مكروهها النفسَ التى ... ماتت وأنفاسٌ لها لم تخمد

وَاقْرِ الهمومَ إذا حضَرْنَ قوافيا ... تنسيك ثقلَ ظلالهنّ الرُّكَّدِ

كالطفل يصرخ فى الظلام لعله ... ينسى مخاوفه إذا لم تطرد

## الشَّاعِر

يرى من ستور الغيب حتى كأنما ... يطالع فى سفر جليل المراقم
له خاطر يقظان ليس بنائم ... يجيش بأصداف اللآلى الكرائم
صقيل كخد الصبح سمح كنوره ... نقى كصوب العارض المتراكم
وروح كأن الكون من فرط رُحبها ... بها - قطرة فى زاخر متلاطم
ولحظ كأن البرق ريش سهامه ... يضىء حواشى كل أغبر قاتم
ولفظ كضوء الشمس فى مثل سيرها ... يسح بفيض العقل سح الغمائم
كأن رياضًا فى مثانى حروفه ... أرجن بأنفاس الثغور البواسم
يحمل خفاق النسيم حديثه ... ويركبه ظهر الرياح الهواجم
فتجريه فى أفواف كل خميلة ... وتنشده بين الربى والمخارم
وتلقيه أنداء على الزهر سحرة ... وتوحيه سجعًا فى صدور الحمائم
وترسله فى الجو صرخة آيس ... يجاوبها قصف الرعود الغواشم
وتطلعه فجرًا على الناس واضحًا ... يريهم سبيل الحق بادى المعالم
وما الشعر إلا صرخة طال حبسها ... يرن صداها فى القلوب الكواتم
يرقرق أنداء العزاء على الأسى ... ويضرم طورًا خامدات العزائم

* * *

فيا روضة الحب التى طلها ندى ... الجمال ووشاها بنور المباسم
دعينى أنشق فى ظلالك عرفه ... فإن حياتى ملؤه للخياشم
وإن شفائى عبرة لو هرقتها ... ولكن جفنى كالبطون العقائم
فإن لم (يغثن) الله فيك بسجعة ... شقيت بجمات العيون الظوالم
وفى الشعر للمفؤود سلوى وإنه ... ليغنيه عن صوب الدموع السواجم

# أنشودة الشتاء

قد ذهب الحول بالربيع وبالصحو ... وجاء الشتاء مرهوبا

فأى أصواتك القدائم ياقلب ... أناجى بها الشآبيبا

وما انتفاعى باللحن أبعثه ... وليس من يسمع التطاريبا

أين ، وهل ينفع اللهيف أسى ... يزيد وجه الحياة تطبيبا

غلائل قد نشرتها بيدى ... عن نور عيشى وعدت مسلوبا

أنا الذى كنت لو تصدقنى ... أكون شيئًا فى الدهر محسوبًا

فصيرتنى الخطوب زافرة ... كما أثار الزمّار أنبوبا

أعجب للحظ هل مقسّمه ... أراده ويلنا أعاجيبا

أجزل من سهمة الرجاء لنا ... فكل شىء نراه مطلوبا

لكنه قد أخس قدرتنا ... ياليت ماشاء كان مقلوبا

غنى أمانٍ وفقر مقدرة ... فلن ينال الفؤاد مرغوبا

# الأزاهير الميتة

أجِلْ فى حياتى الطرف تبصرْ رسومها ... دوائرَ عفتها الليالى الدوائرُ

تولت ليالى السعد وهى حميدة ... وجاءت ليالٍ بالنحوس مواقر

وأصبحت والآمال حولى ذوابلٌ ... تساقطُ أوراق لها وأزاهر

يشاهقها البرق المضىء عشية ... وتهفو بها الأرواح وهى ثوائر

وعُرِّيَت الأفنان من ورق الصبا ... وعافت ذَوَاها الصادحات الطوائر

فما يتحيها غير غربان شفوة ... لهن نعيقٌ فوقها متطاير

فأين زهور الحب ياطول حسرتى ؟ ... وأين أزاهير الشباب النواضرُ

وأين أزاهير السرور كأنها ... تحيى الفتى والعمر فينان ناضر

وأين أزاهير القناعة والرضى ؟ ... دهتها صروف بالسموم قواطر

وأين زهور الصبر والأمن والمنى ؟ ... زوتها عن العين الهموم الزواخر

طواها زمان ليس ينشر ماطوى ... فلن تجتليها بالهيف النواظر

وعابت فغاب الأمن والخير كله ... ودارت على رَوْق الحياة الدوائر

ثوت حيث لاشمسٌ ترد حياتها ... إليها ولاصوب الغمائم ناصر

أفى كل يوم زهرة لىَ غضة ... تموت فأبكيها ودهرىَ ساخر

تساقطُ أزهارُ الحياة على يدى ... وقلبىَ مقروحٌ وصدرىَ واغر

كأن وباءً عاث فيها فلم تكد ... تنوِّر حتى أعجلتها المقادر

ولاخير فى عيش إذا كان مجدبا ... بواطنه مصفرة والظواهر

إذا مرَّ بى يوم حميد ، وربما ... تبسّم فى الليل النجوم الزواهر

تلفّت حولى باحثًا عن شبيبتى ... وأزهارها والدمع فى الجفن حائر
تَقطَّعُ أحشائى إذا ما افتقدتها ... ويضرم أنفاسى الحنين المخامر
وبيضاءَ من زهر العفاف فقدتها ... وبالرغم منى أن قلبىَ ذاكر[1]
فغيَّبها قبرُ الفؤاد وجادها ... بصيّبه جفنٌ على الدهر ماطر
بكينا عليها حقبة ثم ردّنا ... إلى الصبر دهرٌ بالملمّات زاجر
وماعجبٌ أنَ المنايا علقنَها ... وكرَّ عليها الدهر والدهر جائر
وكيف أرجى أن تدوم وقد مضت ... بأندادها عندى المنايا البواكر
وإن محالا أن تدوم وحيدة ... وإن سفاها ما تريق المحاجر
وإنّ ضلالاً ندبُ ماليس راجعًا ... وإنّ عناءً ماتحن الضمائر
سيمضى وإن طال الزمان بى الردى ... وتذهلنى عما افتقدت المقابر

(١) المراد بيضاء من زهر العفاف ابنة لى ماتت .

# زهرة الصخر

آنستنى بالأمل المغرى ... يامُوحشى بالنظر الشزرِ
أعوذ من ذكريك بالصبر ... وأين منَى راحةُ الصبر
يانجمَ أرضى ياسماء الهوى ... تُومض فيها أنجم السحر
خواطرى السوداءُ مغروسة ... فى الذهن ، كالسرحة ، والصدر
تسودُّ منها الشمس رأدَ الضحى ... فالعيش ليلٌ سابغ الستر
مالى أرى كفيَ مملوءة ... من كل ما أكره من دهرى
لكنها خالية مما عسى ... يحلى مذاقَ الألم المرّ
يامُجرى النهر إلى البحر ... ومُسقط الطلّ على الزهر
وجامعا بين الثرى والحيا ... عند التياح الأرض للقطر
وناظمًا فى خيط هذا الدجى ... عقودَ هذى الأنجم الزهر
وواهبَ الموجة صدرَ أختها ... والأغصنَ الميّس للطير
أطفئ بماء القرب جمرَ الهوى ... وزوّج الحسن من الشّعر
لاغرقَ الساعات فى قبلة ... من خدّه الواضح والثغر
ما ذا ترى يمنعنى قربه ... لو أنَّ فى العالم من يدرى
أبيننا بحرٌ يردّ الخُطى ... أم تقذف النيرانُ بالجمر
أم سُدَّت الأرضُ فلا وجهةٌ ... أم حال ظلّ الموت أن نسرى ؟
أينقضى العمرُ وما صافحت ... عيناى عينيه بلا ذعر
ولاجرى فى مسمعى صوتُه ... جَرىَ نمير الماء فى الغُدر

ولاتخطَّيتُ ولو ظلَّه ... فما انتفاعى اليومَ بالعمر ؟
حتَّى الكرى يُبديه لى مبهمًا ... كالزهر فى أكمامه الخضر
أو حاجب الشمس إذا مابدا ... بين غمام ؛ دَنِف الذَّر
كأنما الأحلام أستاره ... تصرف عنه نظر الفكر
أدعوه فى الأحلام حلو الجنى ... على سبيل الهزْءِ والسخر
وقد أناديه ، وما أفترى ، ... يازهرةً صيغت من الصخر
وربما سمَّيته باسمه ... كأنما لاشك فى الأمر
إن كنتَ حقًّا حُلمًا ساحرًا ... فهل ترى أحلم بالهجر
وبالأسى والحُرُقات التى ... ما أطفأتها عبرة تجرى
راح على عطفىَ ثوبُ الأسى ... مُحلولك المِجول والصدر
وآدنى ثِقل الهوى إنه ... حقيبةٌ ملأى من الشر
وعَمّق الأحزانَ أنى أرى ... نفسىَ فى مثل دجى القبر
ياليت للزفرة روحًا إذا ... أصعدتُها تكشف عن سرى
لاغايةٌ لى أتعزّى بها ... حينًا ولا أقنع بالذكر
هو المنى لو أن لى حيلةً ... آه على ملتمسى الوعر
ياملءَ عينى وفؤادى أما ... تَنَفَّسُ البلجةُ فى الفجر
ذكرك نسكٌ لىَ تحت الدجى ... فأين محرابىَ واحرّى !
وأين لا أين بَخور الهوى ... أنفاسك القُطريَة النشر
ياربِّ إنى حافلٌ أمرَهُ ... ولا أراه حافلاً أمرى
لم تقض لى منه سوى حبّه ... وذا قضاءٌ بينُ الجور
فازدحم القلبُ بأحبابه ... مِثلْ ازدحام الرأس بالشِّعر

فليتنى كان لحبى صدىً ... يُبيته منى على ذكر
ياشقوةَ العاشق أمسى وما ... يحسّه المعشوقُ أو يدرى
وهل يفيد الصب أن يشتكى ... فى شعره طورا وفى النثر
كأننى إذ أتشكّى الهوى ... محدّثٌ نفسىَ فى الجهر
إنْ هىَ إلاّ أسطرٌ قلما ... يعبرها واضيعةَ الشعر[1]
دفنت فيها كل ما مرَّ بى ... وهل لما يُدفن من نشر
ما أضأل الآمال زادًا وما ... أخونَها فى موقف النصر
من زاحف الأيام فى جيشها ... فبالطلى كَرَّ على البُتر
ومن أبى غيرَ المنى حيلةً ... أسلمه الحظّ إلى العثر

(١) يعبر أى يقرأ .

# الشعر والريح

صلاتى لربى الصمت فى معبد الدجى ... لمن عرشه نور الجلال الموطّف

ولكننى بالشعر يهضب مقولى ... ويعرض منى جانبا ليس يكشف

وأسكب فى أذن الزمان مواجدى ... وإن كانت الأضلاع منها تقصف

فلا تلح شعرى إنه الريح مرة ... تقر وأخرى لاتنى تتعجرف

وتلفحنا منها السموم وتارة ... يباديك منها جربياء وحرجف

وتزفر أحيانًا وترقد مثلها ... كذاك لشعرى سورة وتألف

## فى الرثاء

### قصيدة قلتها فى نفسى على لسان آخر وسألت صاحباً لى أن يرثينى بمثلها

قضى غير مأسوف عليه من الورى ... فتى غره فى العيش نظم القصائد

لقد كان كذابًا وكان منافقا ... وكان لئيم الطبع نزر المحامد

وكان خبيث النفس كالناس كلهم ... جبانًا قليل الخير جم الحقائد

وقد كان مجنونًا تضاحكه المنى ... وفى ريقها سم الصلال الشوارد

فعاش وما واساه فى العيش واحد ... ومات ولم يحفل به غير واحد

وجاء إلى الدنيا على رغم أنفه ... وراح على كره الأمانى الشوارد

أراد خلود الذكر فى الأرض ضلة ... فأورده النسيان مر الموارد

ولم يبكه إذ مات إلا أجيرة ... لها زفرة لولا اللهى لم تصاعد

فلادمع يروى يوم ولى ترابه ... وكيف يروى تربه غير واجد

فلاتندبوه إنه ليس بالأسى ... حقيقًا ولا أهل الهموم العوائد

وخلوه للديدان تأكل لحمه ... وذاك لعمرى خطب كل البوائد

ولاتزعجوا الديدان بالندب إنها ... هديّ لمن تطويه سود الملاحد

وقوما ارقصوا قد فاز بالموت موجع ... بلى ربما كان الردى خير ضامد

## الضمير

قد أفعل الشيء لا أبغي به أملا ... ولا أبالي الورى ماذا يقولونا
همي ضميري فإن أرضيته فعلى ... رأى العباد سلام المستخفيّا

## الملاح المسحور

أصبحت كالملاح صافح عينه ... ملء النواظر من رواء باهر
سحرته من حور البحار خريدة ... حرب النهى فغدا بغير مناصر
فمضى وقد ألهته عما يتقى ... من صخرة تردى ويم زاخر
بيناه يرمقها تعالت حوله ... لجج على لجج كطود سائر

## مخاوف النّفس

أقلى الدنا وأخاف فرقتها ... لشقيت بين المقت والزؤد
وأهاب نفسي أن تكشف لي ... وأبيت من أمسى على ضمد
ويروعني يأسي ويفزعني ... أملي وأفرق من لقاء غد
ولرب جوهرة ظفرت بها ... فنفضت منها كف مرتعد
ورجعت أنظر هل بها أثر ... منها يظل يهيض من جلدي

# حَصَاد عيش

ياحسن واحسرتا على غرر ... جودتها فيك بل على سور
أبليت فيك الصبا وجدته ... والعمر عهد الشباب والصغر
ياناطق الحسن من لعاشقه ... بمنطق كالجمال مختصر
ياضاحك الثغر من لعابسه ... بمثل سح الغمائم الهمر
ياناعم البال إن كاسفه ... موصول خيط الرجاء بالذكر
ياساكن النفس إن ثائرها ... مضناك قد صار ميت الخبر
أقعده الهم عن مراغبه ... كالنسر هاضته رعشة الكبر
أنفاسه زفرة مقطعة ... كأنما قد أصيب بالبهر
يظل فى فحمة الدجى أبدا ... يرسل حيران رائد الفكر
كيف سعت بى إليكم قدمى ... لو نال رداً مسائل القدر
ترى تريه الأحلام عاشقه ... مزدهف اللب بين الصور
ياليتنى فى الكرى أخوض له الغيب ... وأطوى مسافة الهجر
يطلع طيفى كالفجر منفلتا ... من الدجى فى غلائل السحر
أقول قد جاءك المعذب فى اليقظة ... والنوم وفى كل مدة العمر !!
يازهرة الحسن ما لنفحتها ... تخطئنا دون شائك الإبر
أليس للوجد والأسى أمد ... فكل شىء أراه ذا عمر
ياثانى العطف بعض زهوك إن ... العيش ورد مرنق الصدر
أهون بشىء يلفه كفن ... وينطوى فى التراب والمدر

أدمية أنت لاحياة بها ... لضل باغى الحياة فى الصور
لاعجب أن تكون ذا عنف ... يالين الحسن يا أخا الحور
النفس مثل الحياة معترك ... تسطو بها أنعم على أخر

* * *

ياسنة غالها الزمان وما ... غالت سوانا حوائل العصر
ليت زمانا مضى تودعنا ... همومه العائدات بالذكر
أو ليت ينسى الفتى حوادثه ... جمعاء حادى الروحات والبكر
يستدبر الحول غير ذاكره ... مستقبلا غيره بلا حذر
حتى كأن لم يكن ولاطرق الد ... هر ذراه بالصفو والكدر
خلى غبار الأسى لنا ومضى ... عام بغير الأهوال لم يدر
مهنئى بالجديد من زمنى ... خلفنى العام غير ذى وطر
خلفنى متعبًا أئن من البر ... ح ولا أستقر من ضجرى
مغرورق العين غير فائضها ... ما أوجع الدمع غير منهمر
منتفضًا لا أزال ألتمس الشمس ... وهيهات لا سوى القرر
حصاد عيشى الهشيم واأسفى ... على الرطيب الرفيف من شجرى
ذاك فهل لى فى مقبل عوض ... من مدبر بالأذاة منحسر
ينشر لى لذتى كما ينشر الصيف ... بعيد الشتاء والمطر
فتمرح النفس فى رياض هوى ... حوافل بالثمار والزهر
وتسعد القلب زهرة أنف ... أغنى الصبا حسنها عن الدرر

* * *

هات اســـقنى ياندیم واظمـــأى ... حـــتى ترانى نســـيت مـــدكـــرى
إن أغـــانى الأسى وإن حـــسنت ... أرضـــيـــة يـاندیم فـــاقـــتـــصـــر
أرجـعـننا صـــبـيـــة مـــواجـــدنا ... منطقنا صـــرخـــة من الخـــور
نلـتـــمس النور كل ملتـــمس ... هيـــهـــات والحظ جـــد مـــعـــتكر
هل كـــان مـــا مـــر من لذائذنا ... كـــمـــا زعـــمناه طيب مـــخـــتـــبـــر
ينبـــوع صـــفـــو النهـــار مـــزدحم ... رقـــراقـــه بـالظلام كـــالجـــزر
لكـنمـــا الـوهم صـــيـــقل صنع ... يحـــيـل لمع الـزجـــاج كـــالدرر
والمرء أعلى بمـا مـــضى نظراً ، ... لبـــعـــده أو لحـــاضـــر الغـــيـــر
لكنَّ صـــدر الفـتى يجـيش فـــمـــا ... يُسعد كـالشعر غـير مـعـتسر
كـمـــا احـتـبى بالهـشيـم ذو عـدم ... لم يُـلف إلاَّهُ فى الـدجى الخـــصـــر

* * *

ذهنىَ مـــحـــراب حـــسنكم وبه ... صـــورتكم دون ســائر البـــشـــر
وخـــاطرى لاينى يـرتّل كـــالرا ... هـب آيـات حـــســنك العطر
لأبنينْ مـــذبحًـــا وأجـــعـل قـــر ... بانى فـــؤادى ومـــا انقـــضى وطرى
إذا خـــبتْ نـاره وقـــصتُ لهـــا ... عـــودَ المنى فـــهـــو غـــيـــر ذى ثمـــر
فـاقـبل فـؤادى لحسن وجـهك قـر ... بانًا فـقـد كـان خـيـر مُـدَّخـرى

## معاهدة غرامية

**أيها القارىء :**

نحن طلاب جدد ، مبتدعون حتى فى سياسة الحب ، فلست بواجد هنا مايتغنى به الناس من الوفاء والبقاء على العهد ، لأنهما مما تأباه الطبيعة . والمرء إذا أحب يبدأ بمخادعة نفسه ، ومغالطة قلبه ، ثم ينتهى بمخادعة غيره .

والوفاء فى حياة القلب ، كالثبات على رأى واحد فى حياة العقل - كلاهما ليس إلا اعترافًا بالإخفاق ، وإن فى الوفاء لو تدبرت لشيئًا فى شهوة الملك . وما أكثر مانود أن نرميه لولا خوفنا أن يلتقطه سوانا ، وكثيراً مايكون الوفاء راجعًا إلى نقص الخيال أو كسل العادة .

ولقد غبر زمن كنا نحسب أنفسنا فيه أوفياء ، ونتوهم مثل ذلك فيمن اتصلت أسبابنا بأسبابهم ، أما الآن فقد أرحنا واسترحنا ، وإليك المعاهدة وديباجتها :

غننى ياريح حتى تغمضى ... أعين الفكر عساه أن ينامْ
وامسحى وجهى وتَغْضِينَ الأسَى ... واطردى عنّى شياطينَ المنامّ

* * *

إنّ فى أذنى أعاصيرَ الشتاءْ ... وبقلبى وحشة البيد القِواءْ (١)
تصِف العَينُ إذا قلبتُها ... كل شىء لىَ فى أسر الشقاء

* * *

فكأنى سامع شكوى الكلالِ ... فى خرير الماء جيّاش الضميرْ
وكأنى ناظرٌ قَيْدَ الليالى ... حول أعضاد الرواسى كالسيور

---

(١) القواء : الخالية .

أسمعُ الزهرَ وإن كان قتيلا ... يندب الحسنَ بأشجى منطقِ
وسعته الريح تنكيلا وبيلا ... فقضى والحسن لما يخلق

* * *

ولقد أسمعُ فى الليل البهيمْ ... ضجةَ الموتى وأبناء الجحيمْ
وكهمس الموت فى أذن الكليمْ ... خطرةُ الريح على النبت الوشيم

* * *

ياخليلىّ اخبرانى واصدقا ... هل لليل اليأس صبح ينتظرْ
مرّ بى الدهر عبوسًا أزرقا ... كاشفًا عن ناب نضناض ذكر(١)

* * *

هذه كفى على وشك الملال ... كل نار سوف يعلوها رماد
آهِ لو أسطيع تصديق الخيال ... أو يكون الجهل شيئًا يستفاد !

* * *

هذه كفى على أن أصطلى ... بك نارًا دونها نار سقرْ
وإذا لوّحتنى تترع لى ... كأس مُهل فى عتيقات القدر

* * *

نَقْلىَ السهّد عليها والضنَى ... ورياحينىَ - لو تدرى - الهموم
شجّها الدهر بمحذور النوى ... فنوازيها خبَال ووجوم

---

(١) النضناض : الثعبان .

## إلى صَديق
### تهنئة بانقضاء عام

أهنيك بالعيد لا أننى ... أرى العيد أروح من غيره
كفى فرحًا أن عاما مضى ... بما لقى المرء فى كره
فليت القلوب إذا ما انقضى ... تطيب وتعرض عن ذكره
أرى الدهر ما فات لاينثنى ... فليت الخوالج فى إثره
يموت الزمان ولكنما ... تعيش الهموم على قبره
وأقعدنى عنك أنى مريض ... أعاتب دهرى على سخره
فهل أنت قابل عذر أمرءٍ ... يود التبرء من عذره ؟

# غداً

غـــداً تطلـع الشـــمس التى أتـرقب ... وينجـاب لـيل لم يقـد فـيـه كـوكب
وتصـبح منى قـيـد لحظى بعـد مـا ... تقـاذف مـابـيني وبينك سـبـسب
فـيـافى زمـان ظلـت أشبـر طولـهـا ... ومـالى سـوى رمـضـائهـا مـتـقلب
مـــقـــيلى آمـــالى وهن لـوافح ... ونجـمـى ذكـرى نورهـا ليس يلـهب
إذا افـتـرت الدنيـا رأيت خـواطرى ... تســوّد مـــايبـــدو بهـــا وتغـــيب
ومـــا أنا بالتـــسـويد مـغـرى وإنما ... أطيـر غـبـار العيش عـنى وأسكب
ورائى أيـام خلعـت بيـــاضـــهـــا ... وظلت دياجـيـهـا مـعى حـيث أذهب
لقد أخـمدت جـرى الحوادث وانثنت ... تـذرى رمـــــادى كـل ريـح توثـب
ومـاتـضـحك الدنيـا انبســاطًا وإنما ... لنـحـســن تقـــدير الأسى إذ تقـطب

* * *

ألفـت النـوى حـــتى أرانـى إذا دنا ... أصـــــدق قـلبـى تـارة وأكـــــذب
وتخـدعـنى الآلام حـتى إخـــالنى ... سلوت - وتلهـوبى الشجـون وتلعب
ويغـضـبنى حـبى وأرضى احـتـمـاله ... وبالشـقـائـى حين أرضى وأغـضب !
وأجـرى لسـانى مـفـصـحًا ثم أنثنى ... فـأعـجم ما أعـنى وقد كـدت أعـرب
غـرائب حـالات تظل صـروفـهـا ... بنـفـــسى تطـفـــو تـارة ثم تـرسب

* * *

غـداً تلـتـقى الألحـاظ بعـد شـرودها ... وأنشـد مـاجـودت فـيـك وتطرب
وترنـو بعـين يلـثم الكـون لحظـهـــا ... يقـــربهـــا القـلب المعـنى المعـــذب

وأنشق أنفاسًا بفى حاجة لها فمنه لها أهل وسهل ومرحب[1]

وتمنح كفى راحتيك مؤاتيا وترخى عنان الشوق طورا وتجذب

* * *

سأشدو ! ومن يدرى إذا كف صادح أيدوى بآذان الحبيب التطرب [2]

إذا ماعيينا بالقريض وصوغه أتعطفك الذكرى علينا وتحدب ؟

ويا ليت من يدرى أتضحك لاهيا إذا أطبق الدهر الشفاه وتغرب ؟

ويلمع فى عينيك نور عهدته إذا ضم جفنىً الردى المتوثب ؟

* * *

غداً تشرق الشمس التى كنت أرقب فيا ليت شعرى فى غد كيف تغرب

---

(١) هكذا ورد البيت فى الأصل .

(٢) الفعل دوى يدوى بتشديد الواو .

# وصيّة شاعر

## على مثال وصية «هيني» الشاعر الألماني

أسأل القارىء وأعفيه من مؤونة الإجابة : ألايجب المرء لعدوه كل سوء ؟

أليس كرهك مصادر شقوتك طبيعيًا ؟

ليس هذا من كرم الخلق فى شىء ولاريب ، ولكن خداع الألفاظ عظيم ، وما أكثر مانموه بهـا حتى على أنفسنا ، وإن كان الأصل أن يغالط المرء غـيره لانفسه ، ولكنه يألف الرياء والغش والمغـالطة حتى تجـوز عليه كسـواه ، وكرم الخلق صـفة لاوجود لها فى هذه الدنيا الدنية ، ولم يمش على ظهر الأرض رجل واحد - عدا الأنبـياء والمجـانين - يسـتطيع أن يقول بيـنه وبين نفسـه «أنا كـريم الخلق بالمعنى الصحيح» .

وخير للناس أن يتقـبلوا وصيتى هذه قبول حسن ، فإنها قطعـة من القضاء وما أخلقهم أن يشكروا لى أنى تحريت العدل فى القسمة ، ولم أحرم أحداً من نصيبه، الذى يستحقه على عكس المألوف فى الوصـايا ، منذ كتبت فى هذا العالم ، ولئن شكروا لأزيدنهم !!

ستُرخى على هذى الحياة الستائر ... وتطفأ أنوار ويقفر سامرُ

فهل راق هذا الناس قصةُ عيشّى ... وماذا يبالى من طوته المقابرُ ؟

تركتُ لهم من قبل موتى وصية ... نظير التى أوصت بها لى المقادر[1]

وهبت لأعدائى - إذا كان لى عدى - ... همومى ومامنه أنا الدهرَ ثائر [2]

---

(١) كأنما يمكن أن تكتب الوصية بعد الموت !

(٢) هذا الاحتراس فى قولى «إذا كان لى عدى» ليس سببه أنى أعتقد أن ليس لى أعداء ، فإنهم كثر بحمد الله ، وأكثر من اللازم ، ولكنى أحسبهم سيتبرأون من عداوتى متى قرأوا الوصية ، على أنى قطعت عليهم خط الرجعة ، فلم أترك أحداً دون إيصاء بشىء .

وأوصيتُ للمحبوب بالسهد والضنى ... وبالدمع لايرقا ولاهو هامر

وبالجدرى فى وجهه ليزينَه !! ... وبالعرج المرذولِ والله قادر [1]

وبالضعف والإملاق واليأس والجوى ... وبالسقم حتى تتقيه النواظر

وللشَّيبِ بالأوجاع فى كل مفصل ... وبالثكل فى الأبناء والجد عاثر

وكل سقام قد تركتُ لذى الصبَّا ... وماكنت منه فى الحياة أحاذر

وللناس ألوانَ الشقاءِ وإننى ... إذا متُّ لا آسَى على من يخامر

---

(١) جرى العرج ببالى لأنى أنا أعرج .

**تنبيه** : التعليق على عبارات هذه القصيدة بقلم الشاعر نفسه .

## وقفة فى الحياة

وقفت على الجسر الذى يعبر الورى ... إلى الموت والأشباح حولى تخطر
تحدثنى نفسى بأنى هالك ... وتوهمنى الآمال أنى خالد
ويهمس فى أذنى العزاء أن اتئد ... فإن بُعيد الموت حظك أوفر
فأقدمت هيابا وأحجمت حائرا ... يدافعنى عن نفسه ما يراود

## إنشاد الشاعر شعره

ورب فتاة يملك الطرف حسنها ... تغنى بشعر مسترث فتطرب
كسته من الصوت الأنيق حلاوة ... فعاد نضير النور يصبى ويعجب
وثابت إليه روحه وتضوعت ... نسائم فى بوغائها نتقلب (١)
فكل فؤادى فى نعيم ولذة ... وقد يمكر الصوت الندىّ ويكذب
ولكنه مكر شهىّ إلى النهى ... خفيف مكا شاء الجمال محبب
وأعذب منه الشعر يتلوه ربه ... ويفرغ فيه روحه وهو ينشد
يحس إذا أجرى اللسان كأنما ... لماضى شجاه كرة وتردد
كما فرت الأرواح بعد نزائها ... ومازالت الأمواج ترغى وترعد

---

(١) البوغاء رائحة الطيب .

# كأسُ النسيان

«أدهق الكأس ! بل تمهل ! إن الماضى هو الذى يُظل الابتسامات المفقودة التى ستضىء طريقنا مرة أخرى ، فأرق الكأس فلابد أن أتذكر ! » .

هات اسقنى سلوةً عن الذكَرِ ... أنسىَ بها ما مضى من العُمُرِ !
أنسىَ بها حاضرى ومؤتَنَفى ... كأنما يُدرجان فى الحُفَرِ
بها أنيم الشجونَ قاطبةً ... وأتقى الدَّهَر كرَّةً الفكَر
هات اسقينها وخلّ نشوتها ... تمحو الذى فى الفؤاد من صُوَر
وخذُ كنوز العقول وارم بها ... من حالق للرياح والمدر (١)
كم غصت فى لجة الحياة فما فـ ... زت بغير الصخور والحجر
وكم نفضت اليدين من حجر ... حسبته درة من الدرر
فخل كأس العفاء تسلبنى ... كنزى وتسحو سلاسل الخبر (٢)
ماضرنى لوجهلت ماعلمت ... نفسى وماقد أفادنى نظرى ؟
أو لو نسيت الذى شعرت به ... فى كبرى الآن أو لَدُنْ صغرى ؟
أو لو سلوت الذى كلفت به ... على الذى كان فيه من شكر ؟
أو لو فقدت الذى فرحت به ... وماوجدنا فى حدة الظفر ؟
أثم صوت تعيد نبرته ... إلى ذكرى الربيع والزهر ؟
أثم عين تثير نظرتها ... أحلام نفسى فى ريّق البكر ؟
وتنشر اللذة المضيئة لى ... حلما من العيش جد مبتكر ؟
نعم لعمرى فى الأرض زينتها ... من زهر مونق ومن ثمر (٣)

---

(١) المدرة : الحصى . (٢) تسحو : تجرف . (٣) مونق : معجب .

كأنها لافترار بهجتها ... تحير نطقًا لمدمن البصر

واها لقمريّها إذا اتسقت ... أسجاعه واستراح للسحر !

واها لسحر فى لحظ نرجسها ... يسطو بوقع السجوّ والفتر (٤) !

واها لأيكاتها إذا همس ... النسيم فى أذنها مع القمر !

لكن أغصانهن يا أسفا ... بعيدة من منال مهتصر (٥)

أصبت فى العزم لا الشعور فإن ... أدرت لحظى فى الشىء لم يدر

وإن مددت اليدين خانهما ... عزم الشباب الجرىء ذى الأشر (٦)

يذعرنى الشىء كان يجذبنى ... لشد ما أستجير بالحذر !

أحمل عبئًا من السنين فما ... عسى وراء الغايات منكدرى (٧)

ولى من الذكريات حاشية ... فى حيث أمضى محشودة الزمر

فهاتها أذعر الشجون بها ... حتى أراها تطير كالشرر !

لم لا أبتّ الذى يقيدنى ... بما مضى وانقضى من العصر ؟

إنى أرانى قد حلت وانتسخت ... مع الصبى سورة من السور

وصرت غيرى فليس يعرفنى ... إذا رآنى صباى ذو الطرر

ولو بدالى لبت أنكره ... كأننى لم أكنه فى عمرى

كأننا اثنان ليس يجمعنا ... فى العيش إلا تشبث الذكر

مات الفتى المازنىّ ثم أتى ... من مازن آخر على الأثر

فامح ادكاريه إن ذكرته ... تعين صرف الزمان والغير

وأخلنى اليوم من شجاى به ... أستأنف العيش غير منبهر

---

(٤) السجو : السكون .

(٥) مصر العود : أماله إليه .

(٦) الأشر : البطر .

(٧) منكدرى : أى إسراعى .

# الغريرة

مـرت عـشـاءً - بـىَ - فـتـانة ... ياحـسنهـا لـو أن حـسنًا يدومْ
والـليـل سـاجٍ شـاحب بـدره ... كـأنما أضناه طـول الوجـوم
فـقلـت : يا غـادة أذكـرتنى ... آلامَ عـيشٍ نسـختـهـا الهـمـوم
أمـثـل هذا الحـسن لَّما يـزل ... فى عـالم الشر القـديم العـمـيم ؟
ألم يـزل (كـويـبـد) ذا صـولة ... يرمـى فـيـدمى كـل قلب سليم ؟
قـالت : ومن كـوبيـد هـذا الذى ... تذكـره مـقـتـرنًا بالكـلوم ؟
فـقـلـت : هذا ولـد مـولـع ... بصـيـد أكـبـاد الورى كـالـغـريم !
فـتـمـتـمـت عـائذة باسـمـه ... من كل شـيطان خـبـيث رجـيم

* * *

يابـدر هل أبـصـرتـهـا مـوهـنًا ... بـين ذراعىّ تـعـد الـنجـوم ؟
أم كـنتَ فـى لـيلـة ذاك النـعـيم ... فى شـغل عنـا بكحل الـغـيـوم ؟

يابدر ما أفشاك رغم الوجوم !

ولثمتـــه .. !

لـم أكـلمـــــــه ، ولـكـن نظـرتـى
ســـــــاءلـتـــــه : أيـن أمـك ؟
أين أمك ؟

* * *

وهو يـهـــذى لى ، عـلى عـــادته
مـــــــــذ تـولـت ، كـــل يـوم
كل يوم

* * *

فانثنى يبسط من وجهى الغضون ،
ولعمرى كيف ذاك ؟
كيف ذاك ؟

* * *

قلت ، لما مسحت وجهى يداه ،
«أترى تملك حيلة ؟
أى حيلة ؟ »
قال : «ماتعنى بذا يا أبتاه ؟ »
قلت : «لاشىء أرته »
ولثمته .. !

# هاتف من جانب القبر

جـمـــالك [1] - لاتأسف علـىّ ولا تأسى
فـإنى ، تحـت الأرض ، لا أحـفل الحـبـسـا
طوانـى الردى عـن ناظـريك فـــجـــاءة
ومـا كـان ظـنى قط أن أسكن الـرمـسـا
أرانى الصـبى شـمـسـى بعـيـداً مـغـيـبـهـا
فـسـرعـان مـا ولىَّ الـنهـار ومـا أمـسى !؟
وكنـت ســرور العين والأنـف والحـشى
فـأصـبـحت أوذى العـين والأنف والنفـسـا
ولاتتـجـشـم لى الحـفـــاظ ، فـإنـنى ،
وقـــدمت ، لا أوليـك شكرًا ولاحـــسـا
وأدخل إلـيك الـشـــمس مـن كلّ كـــوّة
فـمـا يتمـلى العيـش من يحجـب الشمـسـا
ســتـــــسليك عـنى ، كـلٌ زهراء نـاهد
وإن بقـيت ذكـرای تهـمس بى همـسـا
فـــمـــا أنـت بالبـــاكـى علـىّ ، وإنما ،
على فـقـد مـاقـد كنت طبت بـه نفسًـا

* * *

(١) جمالك أى صبرك .

## رفيق

يلازمني في جيئتي وذهوبي
رفيق من الماضي أليف شحوب
أقول له «قد مت ياصاح فاحتجب»
فيفتر عما «كان» ثغر حبيب
ومابجميل منه تنغيص حاضري
بأن عليه منه عين رقيب
وقد كان قدمًا «حاضراً» لايمضه
شريك ، ولايشكو حساب حسيب

* * *

## ماالفرق

توقلتُ طوداً لم تكن [1] تتوقل
وأصعدت فيه جاهداً أتنقل
خلاءً ، قواءً ، جِنَّة عبقريةٌ
تعاوى به طوراً ، وطوراً تجلجل
من اللاء كم صالت وجالت بمثله
عمالقة الدنيا الذين تحملوا [2]

(١) لم تكن «هي» . (٢) تحملوا ، أي ارتحلوا . وفي الأساطير أن العمالقة كانوا يتقانفون بالجبال .

ولـم تـك تـهـــــــواه ، فـكـنـت أروده

وحـــــيـــــدًا ، ولاأشكـو لا أتـملـمـل

فكيـف غـدا من بـعـدها جـد مـــوحش

ولم تـك تغـشـــاه مـــعى حين أفـــعل ؟

* * *

## فى الفسطاط

أيـا بلـدة الفـــسطاط مـــا أنـت بلـدة

ولكـنمـــا ذكـــرى لمـؤتنـف الخـــفض

طواك قـضـاء اللـه فى الأرض حـقـبـة

وأنشـــرك الإنســـان نقـــضًـا إلى نـقض

خطوط وأنقـاض ، كـمـا جـاهد الفـتى

ليـحـيى ذكـرى ، وهى تمعن فى الغـمض

خـرائب من حـولى ، وفى الـنفس مـثلهـا ،

وأهول منـهـا ، ويل بعـضى مـن بعـضى

وكم خلـت نفـسـى بعض أدراس نؤيـهـا

فـأقـررت حـتـى كـان يـفـزعـنى نبـضى

قـضـيت بـهـا ليـلاً طويـلاً قـصـيـره

وهل تقـصـر الليـلات من شـدة المخض ؟

فـــوا أســـفـــا . لو ههنا كـنت لانثنى

قـصـيـراً عـلى الليل ذو الطول والـعـرض

لأوحـشـتنى لما خلـت منك رقـعـتى ،

ولم تؤنسى ذا وحشة فى حشى الأرض !

أآســـفـــة للمـــوت ؟ أم أنت يـاترى

أراحك منى الله ذو البـسط والقـبض ؟

* * *

## الأسى

بكـيـتك بالـدمع الســخين ، ولم أزل

بقـلبى ، وإن جـفت مـآقىَ ، باكـيًـا

ولست أرى الـدنيـا الـتى كنت روحـهـا

وريحـانهـا تـأسى عـليك ولا لـيـا

وليس الأسى أن تـذرف العين عـبـرة

يـرد مـهـواها القـلوب الصـواليـا

ولكـنه عـطف ، ولهـف ، وحـسـرة ،

وتقلـيـعك الأحـلام حـمـرًا داميًـا

* * *

## صورتها

تأملتـــهـــا حـــتى تحـــرك ســـاكن
من الثـغـر والعـيـنين والرأس والصـدر
أيصـبح هذا الحـسـن قـبـحًا ؟ وجـيـفـة ؟
بلـى ! ويسـد الأنـف من نـتنـه المزرى !
ويمسى صـديداً كل مـاكـان من قـوى
ومـاء شـبـاب مـسـتـحـيـر ومن سـحـر
فـيـا بؤس لـلبـوغـاء يعـفـر وجـهـهـا
ويكحـل جـفـنـيـهـا ويلـصق بالنـحـر !
وللدود ، يقـتـات ، الليـالى ، بـحسنهـا
ويتـركـهـا كـومًا مـن الأعظم النخـر !

* * *

## شؤم الخيال

أرى رونق الحـسناء فى مـيـعـة الصـبى
فـيـوضع بى شـؤم الخـيـال ويُعنق[1]
ويشـهـدنيـهـا فى الـتـراب مـرمّـةً
وقـد غـالهـا غـول الحـمـام الموفق

(١) الإيضاع والإعناق ضربان من السرعة . والمعنى أنى كلما رأيت حسناء فى ريعان شبابها تخيلتها ميتة مدرجة فى قبرها وقد صارت جيفة .

فرغ المؤلف من كتابته فى مارس ١٩٧٤
والحمد لله أولا وأخيرًا